من تاريخ الحرب العالمية الثانية



الفدائى العجيب



بقلم : تشارلز فولى

عرض وتعريب : العقيد جمال السيد



من تاريخ الحرب العالمية الثانيه

الفدائى العجيب

بقلم : تشارلز فولى

عرض وتعريب : العقيد جمال السيد

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

« مقدمة وتعريف »

هذا كتاب ترجم إلى معظم اللغات ، ليس لأنه يتحدث عن شخص معين هو المقدم أوتوسكورزنى ، وإنما لأنه يشرح بالأكثر أسلوبا من أساليب الحرب الجديدة ، هو أسلوب القوات الخاصة .

فمن قبل الحرب العالمية الثانية كان يجرى تنفيذ المهمات الخاصة بواسطة فدائيين من الهواة أو قوات يجرى تشكيلها على عجل من بين صفوف القوات النظامية ، وبانتهاء المهمة يعود هؤلاء وهؤلاء إلى العمل النظامى . أما فى الحرب العالمية الثانيةفقد جرى تشكيل القوات الخاصة تحت إسم الكوماندو (فى الجيش الانجليزى ، والرينجرز (فى الجيش الامريكى) ،والقوات الخاصة فى الجيوش الأخرى . ولقد اتخذت تلك القوات طابع التنظيم والاستقرار ، وصارت لها وحدات معينة . تتخصص فى العمل الفدائى بكافة أشكاله وتقوم بأخطر المهمات فى البر والبحر والجو ، وتعمل كثيرا خلف خطوط العدو . وبصفة عامة فإن أهدافها الأساسية كانت هى تدمير القيادات والرئاسات (المدنية والعسكرية على حد سواء) والاستيلاء على مفارق الطرق ورؤوس الكبارى وتخريب المنشآت الحيوية وقطع طرق الإمداد . وكان تكتيكها الأساسى هو تكتيك حرب العصابات « أضرب واهرب » .

ومن ذلك الطراز كانت عمليات : اقتحام مقر قيادة روميل فى الصحراء الغربية ، والغارة على سانت نازير (بفرنسا) ،وذلك بغرض حرمان الأسطول الألمانى من استخدام ذلك الميناء الحيوى ، وعملية الضفادع الطليان لتدمير السفن الحربية الانجليزية فى ميناء الاسكندرية ، وعملية تدمير مصنع المياه الثقيلة فى النرويج . وتلك كلها عينات فقط مما حفل به سجل الحرب من عمليات باهرة ، ما كان ليمكن أن يتحقق لها النجاح لولا التدريب الشاق والدراسة الجادة مع المبادأة والابتكار فى التنفيذ .

ومن بين قادة القوات الخاصة يقف أوتو سكورزنى موقفا متميزا بعناصر ثلاثة ، أولها هو أنه هو الذى تولى عملية انشاء وتنظيم القوات الألمانية الخاصة ، كما أنه هو الذى تولى ابتكار تكتيكاتها وقيادة معظم عملياتها .

وثانيها : هو أنه ظهر فى وقت كانت فيه الهزيمة تطل على ألمانيا . ومع ذلك فإنه لم يهزم ولم يخسر أى معركة ، وبالتالى فإن انتصاراته كانت هى شعاع الأمل الذى أبقى على ألمانيا تماسكها لمدة عشرين شهر على الأقل .

وثالثها : هو أنه الوحيد تقريبا الذى نجا من بين قادة القوات الخاصة ، وعاش ليروى تاريخ عملياته ويقدم لهما سجلا دقيقاً .

ومن هنا جاءت أهمية هذا الكتاب بصفتة مرجعا تاريخيا للكثير من الأحداث الهامة ، وسجلا لعمليات القوات الخاصة الألمانية .

ولقد استهوت شخصية سكورزنى عالم السينما ، فظهرت أفلام عديدة ، وصورته فى بعض الأحيان بطلا أسطوريا وفى أحيان أخرى وحشاً سفا كا للدماء .

وفى رأى المعرب أن الرجل لم يكن بهذا ولا بذاك ، وانما هو مقاتل وضعته الظروف فى دوامة الحرب فأدى دوره فيها على أحسن ما استطاع ، ملتزما بمبدأ أساسى من مبادىء الحرب هو تحقيق المفاجأة بكل طاقته ، وكان إخلاصه لذلك المبدأ هو سر إنتصاراته . أما عن اتهامه بالوحشية ومخالفة قوانين الحرب فإن تلك التهم عرضت على محكمة نورمبرج (التى كانت مشكلة من الانجليز والأمريكان والروس والفرنسيين) .ولو صحت تلك التهم لما كانت تلك المحكمة قد برأته .

ومن هنا تبدأ قصة ذلك الفدائى العجيب . ؟

جمال السيد

الفصل الأول

(الرجل الذى ظل ينتصر وحده ..)

بينما كانت معركة الأردين فى أوج احتدامها والجيوش الإلمـانية تتقدم (مكتسحة المواقع الأمريكية)، تحت قيادة فون رونشتد وذلك فى الهجوم المضاد الكبير الذى كانت القيادة الألمـانية العليا تأمل منه أن تصد الغزو وتقضى على جيوش الحلفاء بضربة واحدة كبيرة . .

بينما كانت تلك المعركة فى ذروتها كان ايزنهاور (القائد الأعلى لجيوش الحلفاء) يعيش سجينا كأى جندى بسيط يقضى عقوبته فى السجن الحربى .

فنى مقر قيادته العليا كان الحراس المدججون بالسلاح يحيطون به فى مكتبه ، فى غرفة العمليات ، فى قاعة الطعام . . حتى حجرة نومه كانت تقع تحت تفتيش دقيق كلما اتجه إليها ليأخذ قسطا من الراحة وحتى نزهته اليومية القصيرة التى كان يقضيها متجولا حول مركز القيادة صارت محرمة عليه .

وقد عارض ايزنهاور فى تلك القيود واحتج وغضب وصرخ ، ولـكن ضباط أمن القيادة أصموا آذانهم عن احتجاجاته ولم يهتزوا لصراخه ووضعوه قسرا وقهرا تحت تلك الحراسة الدقيقة ، التى لم تكن تختلف عن حراسة أى مسجون خطر إلا فى التحيـة العسكرية التى كانت هى المظهر الوحيد الذى بقى معـه من مظاهر الجنرالية .

ودام هذا الحال أسبوعا كاملا . . . .

وكل ذلك لأنه كان مهددا بالقتل .

وإذا كان من الطبيعى أن يكون أى جنرال معرضاً للقتل فى وقت الحرب فإن الموقف هنا كان يختلف . . لأن التهديد كان ماثلا فى فرقة عسكرية ألمـانية كاملة كانت ترتدى الملابس العسكرية الأمريكية وتركب دبابات وسيارات أمريكية . . فرقة كاملة تسربت إلى ما وراء خطوط الجيش

الأمريكى واتجهت (حسب تقرير المخـابرات) إلى باريس فى جماعات متفرقة تهدف كلها إلى اجتياح مقر القيادة العليا واغتيال القائد الأعلى . . . ايزنهـاور .

وعلى ضوء تلك الحقيقة تبدو الاحتياطات التى اتخذت للمحافظة على حياة ايزنهاور احتياطات معقولة، فيما عدا أنها أتخذت طابعا متشددا أحال ايزنهاور إلى سجين مقيد الحركة والحرية بالدرجة التى كان يحتمل معها أن يفقد أعصابه ويعجز عن قيادة قوات الحلفاء فى تلك المرحلة الحرجة من مراحل الحرب العالمية الثانية . وكان التشدد فى الحراسة يرجع إلى اسم قائد تلك الفرقة الألمـانية المتنكرة . . يرجع إلى الرجل الذى نال شهرة داوية فى خطف القادة واجتياح أمنع المعاقل . . يرجع إلى أوتو سكورزنى .

وقبل ذلك بسنتين كان أوتو سكورزنى مجرد مقاتل عادى بين ملايين المقاتلين فى تلك الحرب الدامية . . مجرد ضابط عادى برتبة ملازم . بل أنه تعرض لما تعرض له سائر الألمان فى الجبهة الروسية من هزائم ساحقة طردت جيوشهم من روسيا ودفعتها إلى داخل الحدود الألمانية فراحوا يترقبون الهزيمة النهائية على يد جيوش الغزو من الغرب ومن الشرق .

فى ذلك الوقت الذى كان نجوم القيادة الألمـانية يتساقطون فيه واحداً أثر الآخر ما بين قتيل وجريح وأسير ومعزول ارتفع نجم أوتو سكورزنى فجأة وبلا أى مقدمات . وكان ذلك حين تولى بطريق الصدفة البحتة قيادة وحدة عسكرية كان عملها ـ فى الوقت الذى انقلب فيه الجيش الألمانى كله من الهجوم الساحق إلى الدفاع المرير ـ هو الهجوم والهجوم فقط . . الهجوم فى كل مكان وفى كل جبهة . الهجوم . . الهجوم بشرط واحد هو أن يجىء من حيث لا يرتقب .

وفى خلال العشرين شهرا الأخيرة من الحرب رسم أوتو سكوورزنى (وقاد بنفسه) عددا من الهجمات والمغامرات العسكرية التى لم تكن تقتصر على هدف الفوز فى مكان واحد أو فى معركة واحدة وإنما كانت تتجه إلى هدف أبعد وأعمق هو كسب الحرب كلها .

وفى هذا الوقت الذى تولى فيه سكورزنى قيادة قوات الكوماندو الألمانية كان الذعر من الهزيمة يطل من أعين الألمان . وبالرغم من ذلك فإن ظلام تلك الهزيمة كان ينقشع بين الفينة والفينة بتأثير ومضات باهرة كانت تتمثل فى انتصارات ذلك الرجل الذى ظل ينتصر وينتصر وحده بينما كانت جيوش وطنه تهزم فى كل مكان .

وعندما انتهت الحرب بهزيمة ألمانيا تحولت كل جيوش الحلفاء من معارك الميدان إلى مطـــاردة عنيفة لرجل واحد هو سكورزنى الذى تعالت صيحات مطارديه بأنه وحده (وأكثر من هتلر ذاته) كان هو المسئول عن إطالة أمد الحرب.

وعندما وقع سكورزنى أخيرا ـ برغبته ـ فى أيدى الحلفاء وقدم إلى محكمة نورمبرج كمجرم حرب كانت سمعته كمقاتل جرىء مبدع فى الابتكار كافية لأن تدفع بمجموعة من ضباط الحلفاء الصغار لأن ترى فيه مثالا للبطولة ولهذا كتبت تلك المجموعة خطابا إلى القيادة العليا وقالت فيه « إذا كان لابد من عقاب الكولونيل سكورزنى (قائد الكوماندو الألمانى) على أدائه لواجبه ، فإننا نرجو القبض علينا ومحاكمتنا بالمثل ، ونحن على استعداد لأن نعترف أمام المحكمة العسكرية بأننا مذنبون فى تهم لاتختلف عن التهم الموجهة إليه ، وأن نتقبل نفس العقاب الذى سوف يوقع عليه » .

ولم تلق القيادة القبض على هؤلاء الضباط كما كان متوقعا وإنما أسقطت بعض التهم عن سكورزنى واستمرت فى التحقيق معه . .

وأخيرا أفرجت عنه .

الفصل الثانى

(المغامرة الأولى)

إذا كان أوتو سكورزنى جنديا غير عادى فإن ذلك يرجع فى المقام الأول إلى أنه لم يكن يرغب قط فى أن يكون جنديا ! ! فهو لم يكن سليل أسرة بروسية من اليونكرز[1] حتى ينشأ عسكريا بالوراثة ، كما أنه لم يكن عضوا فى فرقة العاصفة التى أنشأها هتلر من شباب النازى . بل أنه لم يكن ألمانيا بل كان نمساويا ولم يسبق له دخول ألمانيا سوى مرة واحدة فى رحلة سياحية قصيرة قبل الحرب . . وفى طفولته وصباه وشبابه لم يمسك بندقية قط وظل كذلك حتى استدعى للخدمة العسكرية .

ومع أنه كان قد التحق بالجيش الألمانى منذ بداية الحرب . إلا أنه لم يطلق طلقة واحدة حتى سقوط فرنسا . وساعتها اعتبر أن الحرب قد انتهت وأنه أدى واجبه وبالتالى أن عودته لبيته صارت مسألة أيام .

ولكن القدر كان يرى غير ذلك ، إذ أن سقوط فرنسا كان — بالنسبة لسكورزنى — بمثابة توديع لعهد الهدوء والراحة وبداية لفترة ظلت تحفل كل يوم بمغامرة جديدة مثيرة حتى نهاية الحرب .

ونبدأ فى السطور التالية بكلمة قصيرة عن صباه وشبابه اللذين لم يشتملا بدورهما على أى إشارة إلى مستقبله المثير .

فقد نشأ سكورزنى فى فيينا كأى صبى عادى من أسرة متوسطة الحال وكان ميالا منذ البداية إلى استكمال تعليمه فى الجامعة .

نعم لقد جاءت والدته من أسرة كان فيها بعض الضباط الذين اقتصرت حياتهم العسكرية على أعمال الحراسة فى الثكنات أو فى القصور الملكية لآل هابسبرج

---

(١) طائفة اليونكرز البروسيين تتوارث مهنة القيادة العسكرية فى ألمانيا منذ أجيال .

ولكن ذلك لم يؤثر فيه أو يدفعه إلى التطلع نحو الالتحاق بالجيش .

أما عن أسرة والده فهى من نفس الطبقة المتوسطة وأصلها من قرية سكورزنسين فى بومرانيا الشرقية ومن اسم تلك القرية استمدت الأسرة اسمها «سكورزنى» .

وقد مر سكورزنى فى صباه بسنوات مريرة يفصح عن شظفها قوله بأنه لم يذق الزبد قط إلا وهو فى الخامسة عشر وإلى ذلك العهد ترجع قدرته العجيبة على التقشف وتحمل العيش فى أسوأ الظروف .

وفى جامعة فيينا — حيث كان يدرس الميكانيكا — خاض عددا من المبارزات وليست تلك هى المبارزات بالمعنى القديم وإنما كانت عبارة عن مباريات بالسيف السابر (SABRE) الذى يستخدمه المتباريان فى الهاب بعضهما بضربات كالسياط . . وفى إحدى تلك المبارزات أصاب السيف خده الأيسر بضربة شقته . وقد تركت تلك الضربة ندبة ظاهرة بوجهه . . تلك الندبة التى أضفت عليه فيما بعد سمة رجل العصابات . وكان معظم تلك المبارزات يرجع إلى تحديات الشباب المألوفة ولكن واحدة منها كانت ترجع لأسباب عاطفية . وقد راح انتصاره فى تلك المباراة هدرا وتساوى هو وخصمه - الذى كان ينافسه فى حب راقصة جميلة - فى الهزيمة حين أولت الراقصة ظهرها لكليهما وتزوجت من شخص آخر .

أما عن القراءة فإنه لا يعتبر من هواتها، وهو لا يؤمن بها إلا كضرورة للاطلاع على موضوع يهمه فى عمله بصفة مباشرة .

كما أنه لم يكن يميل الى السياسة وكذلك لا يذكر عن نفسه أنه أعجب قط بأبطال الحروب .

وفى سن العشرين التحق بحزب النازى بجرد التحاق روتينى مثله فى ذلك مثل الآلاف من الشباب النمساوى الذى كان يأمل فى نجاة النمسا من أزمتها المالية الخانقة إن هى اتحدت مع ألمانيا .

وفى خلال تلك الفترة — فترة التحاقه بالحزب — لم يحدث أنه جرؤ أو حتى

انتابه الميل إلى الظهور أو الخطابة او المساهمة بدون دعوة فى أى نوع من النشاط الحزبى . وقد تزوج سكورزنى مبكراً من فتاة جميلة كان قد التقى بها فى حمام سباحة .

وقضى العروسان شهر العسل فى إيطاليا .

وفى يوم من أيام ربيع ١٩٣٨ حدثت أول مغامرة لسكورزنى . مغامرة استطاع فيها أن يمنع حدوث مذبحة بشرية كان جديرة بأن تجتاح فيينا كلها .

فقد سقطت الحكومة وتولى منصب المستشارية أحد أعوان هتلر .

وفى ذلك اليوم كان سكورزنى يقف أمام دار المستشارية بصفته عضوا فى نادى فيينا للجمباز وكان من واجبات هذا النادى أن يتعاون مع البوليس فى حفظ النظام فى المناسبات المختلفة .

وفجأة — وبينما كان المستشار يخطب فى الجماهير بحماس زائد - خرج رئيس الجمهورية (ميكلاس) فى غضب ظاهر واتجه بعربته إلى دار الرئاسة .

وهنا جاء رئيس نادى الجمباز إلى سكورزنى وقال له فى لهفة « سكورزنى أنت شاب عاقل وقد اخترتك لتمنع حدوث مذبحة . . فالرئيس ميكلاس الآن فى طريقه إلى دار الرئاسة وهناك قوة كبيرة من النازيين تتجه الآن بدورها إلى دار الرئاسة للاستيلاء عليها، ولاشك فى أنها ستصطدم بالحرس هناك .وواجبك هو أن تتدخل وتمنع حدوث هذا الصدام ، ويمكنك أن تتكلم باسم المستشار الذى سأخطره فورا بمهمتك » .

وانطلق سكورزنى بعربته فى سرعة جنونية وراء ميكلاس ولكنه ما كاد يلحق به حتى فوجىء بثلاث سيارات مكتظة بالنازيين وهى تلاحق عربة ميكلاس بدورها وتفصل بينها وبين عربته . وبدا عندئذ أن الصدام أصبح أمرا لا مفر منه .

وعندما وصل سكورزنى فى النهاية إلى قصر الرئاسة كان ميكلاس قد دخل القصر بينما كان النازيون ينزلون فى عجلة وبأيديهم المسدسات والمدافع الرشاشة .

وفى قفزات سريعة لحق سكورزنى بميكلاس واستوقفه . وظهر عندئذ ضابط من حرس القصر فى أعلى السلم وصوب مسدسه نحو سكورزنى فى الوقت الذى كان فيه النازيون يجتاحون الردهة ويتجهون إلى السلم وأسلحتهم مشرعة .

وصاح الضابط فى سكورزنى « قف وإلا أطلقت النار » كما هتف ميكلاس به فى دهشة « من أنت بحق الشيطان ؟ » .

وفى بديهة حاضرة رفع سكورزنى يده بهدوء نحو الضابط ثم صاح « كف عن هذا الهراء » ، ثم استدار إلى الجنود الذين كانوا ساعتها يقفون فى مواجهة النازيين وأسلحتهم مصوبة نحوهم وصاح بهم « حذار من أى حركة » ، ثم أشار للنازيين وهتف بهم « قفوا . . مكانكم » . وبتلك الصيحات الحازمة سيطر على الموقف تماما ، وراح الكل ينظرون إليه فى استسلام كما لو كانوا منومين مغناطيسيا .

وقبل أن يفيق أحد من ذهوله تابع سكورزنى هجومه صائحا بالضابط « ستكون مسئولا لو أطلق جنودك طلقة واحدة » ثم هتف بقائد النازيين « قف مكانك وانتظر أوامرى » .

وعاد سكورزنى إلى الرئيس ميكلاس بعد أن اطمأن إلى تلك الهدنة المؤقتة التى حققها بين القوتين المتحفزتين . فقال له « لقد أرسلنى المستشار للمحافظة على حياتك ولمنع حدوث مذبحة فى القصر وسأطلبه فورا ليحدثك بالتليفون » وبأعصاب ثابتة اتصل سكورزنى بالمستشار وأنبأه بما حدث فى ألفاظ ملفوفة تؤيد الصفة الخطيرة التى ادعاها لنفسه ، ولم يتردد المستشار فى الموافقة على كل مافعله سكورزنى ثم أضاف تهنئة حارة إليه .

وفى هذا الموقف تفتحت مواهب سكورزنى وبدأ هو يكوّن فكرته الأولى عن القيادة .

ومنذ تلك اللحظة آمن بقدرة المفاجأة (المصحوبة بثبات الأعصاب) على تحقيق المعجزات .

وبتلك العقيدة استطاع فعلا أن يحقق المعجزات كلما واتته الفرصة ليضعها موضع التنفيذ .

« سكورزنى ذو الوجه المجروح » ... اسم الشهرة الذى أطلقه عليه الحلفاء . وهو اسم يوحى بشخصية قاتل سفاح . الأمر الذى يتعارض تماما مع شخصيته التى كانت مبنية على كراهة سفك الدماء مع القدرة على تبين عنصر الفكاهة فى أحرج المواقف بالإضافة إلى إنسانية عميقة تتجلى فى عطفه على الضعفاء بما فيهم أعداءه وقت هزيمتهم وبما يؤثر عنه أنه طالما شجع جنوده على العطف على الأسرى وأنه كان يسر بمنظرهم وهم يقدمون السجائر والحلوى إلى الأسرى .

أما عن الجنود الذين تولى قيادتهم فى الحرب فإنهم كانوا يدينون له بمطلق الولاء. فهل يرجع ذلك إلى طموحه إلى الانتصار والترقى وتزيين صدره بالنياشين ؟ . . . نعم لقد كان طموحا ، مثله فى ذلك مثل أى شخص آخر . ولكن ليس ذلك كل شىء ... فعندما واتته الفرصة لقيادة فرقة كاملة على ضفاف نهر الأودر كان يستطيع أن يحصل على رتبة لواء ولم يكن عليه إلا أن يملأ بعض الأوراق الرسمية ويرسلها إلى القيادة مطالبا برتبة لواء فتصله الترقية برقيا ، ولكنه لم يفعل والسبب هو أنه كان مشغولا بقيادة الفرقة وإدارة المعارك بالدرجة التى لم يجد معها وقتاً لملء تلك الأوراق !! فبقى برتبة (مقدم) حتى نهاية الحرب . ومن هذا الحادث يمكن تفسير ولاء جنوده له بأنه كان نتيجة طبيعية لعواطف الحب والرعاية الصادقة التى كان يضفيها عليهم .

ونعود إلى أيامه فى فيينا بعد حادثة ميكلاس فنجده قد تخصص فى هندسة الديزل وانضم إلى شركة مقاولات كبيرة وأصبح شريكا فيها .

واشتعلت الحرب العالمية الثانية فرأى أنه سيدعى إلى الجيش إن عاجلا أو آجلا فآثر أن يتطوع فى سلاح الطيران كطيار محاولا أن يتجنب بذلك الوقوع فى براثن الجيش — كما كان يقول — ، ولكن محاولته باءت بالفشل حين رفض طلبه بحجة أن سنه أكبر من اللازم (٣١ سنة) ، وبدلا من ذلك جند للعمل فى سلاح الطيران ، على أن ينضم إلى قواته الأرضية .

وقضى سكورزنى ٥ شهور للتدريب فى معسكر إشارة الطيران بفيينا ومن

هناك نقل كطالب (ضابط) إلى مدفعية قوات العاصفة وكان ذلك فى ٢١ فبراير سنة ١٩٤٠ وهو نفس اليوم الذى ولدت فيه ابنته « والتروت » .

وبنفس مبتهجة توجه سكورزنى فى ذلك اليوم لينضم إلى وحدته ببرلين . . وكانت نصيحة الوداع من والده يومها « لا بأس بأن تحاول الحصول على ميدالية أما الصليب الحديدى . . فلا[1] » .

وفى برلين دخل فى مرحلة التدريب الراقى وأصبح من الناحية النظرية على إلمام تام بالتكتيك والنظم العسكرية إلا أنه لاحظ كيف تهدر الامكانيات البشرية فى مواجهة النظم العسكرية الجامدة . وبدا له أن هذا النوع من التدريب يأتى بنتيجة معكوسة لأنه يقتل روح المبادأة والابتكار فى النفوس . ومن هنا انبثقت فى عقله نظرية تابعة لنظرية المفاجأة ومتممة لها . نظرية تتلخص فى أن التدريب العسكرى يجب أن يتركز حول إثارة روح المبادأة والابتكار ، قبل أن يدور حول التدريبات الجافة المتمثلة فى صورة الغرس القهرى لبعض المهارات فى أنفس الجنود ، وكذلك يجب دراسة تكتيكات العدو واقتباس أفضلها بجرأة حتى ولو تعارضت مع أقدم وأرسخ التكتيكات الموجودة .

وبدأ غزو فرنسا وانتهى وسكورزنى مازال طالبا ثم ترقى إلى رتبة ملازم والتحق بوحدة فى هولندا . . وهناك راح يشاهد تدريبات القوات الألمانية على غزو انجلترا .

وذات يوم وقعت قيادته فى مشكلة تتلخص فى أن نقل الدبابات الثقيلة إلى سفن الغزو كان مستحيلا لأن الأطواف المخصصة لنقلها كانت أضعف من أن تحتملها ، وتطوع سكورزنى لحل المشكلة مستخدما نظرياته لأول مرة . فبدأ برسم طراز من الأطواف التى يمكن أن تتحمل ثقل الدبابات . وفى نفس الليلة تمكن من صنع واحد منها مستعينا بالعمال الهولنديين ، الذين كان زملاؤه قد أكدوا له أنهم لن يتعاونوا معه إلا تحت تهديد البنادق . ولكن سكورزنى اكتفى بإغراق العمال بالخمر والشيكولاتة فسهروا معه راضين طول الليل .

---

(١) الصليب الحديدى : أعلى وسام للبطولة فى المانيا .

وبعد أيام كاد أن يقـــع فريسة لمحاكمة عسكرية . فقد كان بحاجة إلى بضع إطـارات للورياته فتوجه إلى مخزن للمهمات وطلب الإطارات . ولـكن الضابط المختص رفض أن يسلمه الإطارات بدون النمـــاذج والتصديقات البيروقراطية المألوفة . وعندئذ زعم له سكورزنى أنه سيصوب مدافعه نحو المخزن ويهدمه فوق رأسه إن لم يسلمه الإطارات فى الحال . ونجح التهـديد وحصل على الاطارات .

وفى صباح اليوم التالى استدعى على عجل ليقف أمام جنرال جاف أوسعه لوما وتأنيبا ثم صرفه مهدداً إياه بالسجن على يد مجلس عسكرى إن هو جرؤ على تـكرار تلك العملية الاحتيالية .

وفى يوجوسلافيا خاض سكورزنى أول معركة حربية فى حياته ورأى هناك لأول مرة جنوده وهم قتلى وأجسامهم مرغة فى الطين .

هناك واتته حالة عصبية جعلته يؤمن بأن الجنـــدى أن هو إلا رجل يسير فى الطين ويحـارب فى الطين ويسقط على الطين ثم يدفن آخر الأمر فى الطين .

وبعد أيام قليلة خرج فى داورية صغيرة ليلتقى بستين جنديا كان يقودهم ثلاثة ضباط .

وبدون أن يطلق رصاصة واحدة عاد بهم جميعاً أسرى بعد أن اكتفى بالظهور أمامهم والصياح فيهم بأن يستسلموا موهما إياهم أنه يمثل مقدمة قوة ضخمة .

ونال ترقيته الأولى يومها إلى رتبة ملازم أول .

وبعد عشرة أيام انتهت معركة يوغوسلافيا .

وتحولت وحدة سكورزنى بعد ذلك إلى روسيا .

وعن الحرب مع روسيا يقول سكورزنى أن هتلر وقادته قد ارتـكبوا جرما كبيراً بالعدوان على روسيا التى قصمت ظهر نابوليون من قبل . وعليه فانه لا يرى لهتلر وقادته أى عذر فى الإقدام على محاربة الروس الأشداء المحاربين بالطبيعة والذين استطاعوا فى تلك الحرب الضروس أن يكبدوا ألمانيا ملايين الأرواح من شبابها وأن يغزوها ويحتلوا عاصمتها فى آخر الأمر .

وفى الجبهة الروسية رأى زملاءه « الضباط يتحولون من الاستهتار بالروس إلى احترامهم ثم إلى الخوف منهم .

وبعد ثمانية عشر شهر نقل سكورزنى من الجبهة الروسية وعاد إلى ألمانيا مؤمنا بأن الروس هم الوحيدون الذين يعرفون تماما معنى « الحرب الشاملة » والذين يستطيعون أن يمارسوا تلك الحرب من ألفها إلى يائها . وفى ذلك يقول « انه يمكنك أن تتقدم مئات الأميال فى الأرض الروسية وأن تنتصر على كل قوة تقابلك وأن تأسر الجنود بالألوف فيسيرون معك فى هدوء عجيب وبدون حراسة تقريباً . ولكنك ما تكاد أن تخسر معركة واحدة وتبدأ فى الانسحاب ولو لأميال قليلة حتى تتشكل من الجنود الأسرى فجأة وحدات مقاتلة تامة التنظيم وحتى يهبط عليك الروس بالألوف من السماء (أحيانا كانت الطائرات تحلق بهم على ارتفاعات قليلة ويقفزون منها فوق الجليد بدون مظلات) وإذا بك تواجه فجأة جيشاً روسياً كاملا ومتفرقاً حيث لم يكن موجوداً من قبل إلا الفراغ المطلق » .

وقد تبين سكورزنى فى تلك الحرب أن الروس يستطيعون أن يقطعوا مسافات هائلة سيراً على الأقدام ،وأن يناموا على الجليد بغير غطاء ، وأن يعيشوا على طعام مكون من جذور النباتات الباقية تحت الجليد .

والجيش الأحمر — فى رأى سكورزنى — جيش يتميز بضباط قادرين على الابتكار ورسم الخطط الفنية إلى أدق تفاصيلها كما أنهم أساتذة فى فن الكاموفلاج والحيل الخداعية ، ومنها ذلك الكوبرى الذى بنوه تحت الماء عبر أحد الأنهار ومن فوقه عبرت الدبابات فأوقعت الذعر فى صفوف الألمان الذين تصوروا أنها دبابات برمائية .

ولكن سكورزنى مع ذلك لا يرى أن الروس قوم لا يهزمون طالما استفاد عدوهم من دروس الماضى وحاربهم بتكتيكات جديدة .

وفى الأيام الأخيرة من ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، بينما كانت ألمانيا كلها تمسك أنفاسها جزعا على مصير فون باولوس وجيشه فى ستالينجراد ،عاد سكورزنى إلى فيينا مصابا بجراح شديدة ومرض أزمن معه وعليهما وسام الصليب الحديدى .

الفصل الثالث

(قائد الكوماندو)

والآن ... كيف تحول سكورزنى إلى حياة المغامرات وكيف أصبح فى ظرف يوم وليلة من أبطال الأساطير ؟ ! .

لقد بدأت قصة ذلك التحول بمرض الكلى المزمن الذى جاءه بتوصية طبية تقول « صالح للخدمة فى الوطن فقط » . وعليه فقد ألحق سكورزنى بأحد مكاتب القيادة فى برلين .

وهكذا قذفت به الظروف إلى مكان قريب من هتلر فى نفس الوقت الذى كان فيه هذا منفعلا أشد الانفعال بأنباء غارات الكوماندو « الفدائيين » الانجليز على مركز قيادة رومل فى الصحراء الغربية . ولذلك فقد أصدر أمراً مشدداً إلى القيادة بأن تبحث فوراً فى إنشاء وتنظيم قوة من الكوماندو الألمانى .

وجاءت الظروف بضابط (كان من زملاء سكورزنى فى الجامعة) فى المكتب الذى أنشىء خصيصا لاختيار قائد وضباط الكوماندو المنتظرين (والذين أطلق عليهم هتلر اسم « القوات الخاصة » .

وحدث ذلك كله فى الوقت الذى أصدر فيه روزفلت وتشرشل تصريح كازابلانكا الشهير والذى تعهدا فيه على الاستمرار فى الحرب حتى تسلم ألمانيا بدون قيد ولا شرط[1] . وكان معنى ذلك هو أنه لم يعد أمام ألمانيا من سبيل سوى الحرب أو الضياع .

وبسبب ذلك التصريح اعتنق سكورزنى عقيدة القتال حتى الموت . . تلك العقيدة التى ظلت أقوى دوافعه حتى نهاية الحرب .

وعليه فقد تقدم — على أثر صدور تصريح كازابلانكا — بطلب الالتحاق بوحدة محاربة ، ونجح بعد محاولات عديدة فى الالتحاق بالفرقة الثالثة المدرعة .

ولكنه لم يبق فيها لأكثر من أسابيع قليلة ، استدعى بعدها لقيادة « القوات الخاصة » .

---

(١) يجمع المؤرخون العسكريون ، وعلى رأسهم الجنرال فولر على أن ذلك التصريح قد أيأس الشعب الألمانى من الحصول على صلح كريم ودفعه إلى مواصلة الحرب حتى النهاية المرة.

وكان ذلك عجباً من العجب لأن سكورزنى كان ضابطا صغيراً كما أنه كان بغير ماض يفوق به غيره من الضباط . ولكن اختياره جاء بناء على عقيدة القيادة الألمانية التى خضعت لرغبة هتلر فى إنشاء القوات الخاصة على اعتبار أنها مجرد نزعة مؤقتة سوف ينساها عن قريب . كما أن القادة كانوا يعارضون فى تعيين ضباط أصليين لهذا العمل خوفا من أن يتحولوا من الانضباط العسكرى إلى التحرر المتوقع بين ضباط القوات الخاصة . ولذلك فإنه ماكاد زميل سكورزنى يعرض اسمه مزكيا إياه لقيادة القوات الخاصة حتى وافقت رئاسة أركان الحرب على ذلك ثم تحولت إلى أعمالها الأخرى (الأكثر أهمية) والمشغلات بها .

فى ذلك الوقت كانت مطرقة الحرب الثقيلة تهوى على ألمانيا . . . ستالينجراد ضاعت ، وروميل يتراجع فى الصحراء ، وإيطاليا تتململ طلبا للانسحاب من الحرب ولكن موسولينى يجبرها على الاستمرار فيها . وبدأ الأمل فى النصر يتضاءل .

وفى ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٣ كان سكورزنى يتسلم منصبه كقائد للقوات الخاصة بترقية دلت ضآلتها على مدى استهتار القيادة الألمانية بتلك القوات . وكانت تلك الترقية إلى رتبة نقيب « كابتن » فقط .

وتشكلت القوات الخاصة فى بداية الأمر من رجال مختلطين من كافة الوحدات والأجناس على شكل كتيبة كان يقودها رجل هولاندى ! ! ! وتبع ذلك أمر إلى سكورزنى بإنشاء مدارس للتجسس والتخريب . . . أى أنه كان مطلوبا من رجل لم يمارس من قبل فى حياته أى تجسس أو تخريب أن يعلم تلك الفنون ويفتح لها مدارس ! ! .

وما كاد سكورزنى يتسلم تلك القيادة حتى تلقى أمرا بمقابلة قائد المخابرات (الادميرال كاناريس) .

ومع كناريس قضى سكورزنى ثلاث ساعات مريرة فى جدل عقيم حول صلاحية بعض الضباط الذين تقدموا للعمل فى القوات الخاصة وأيهم يجاب طلبه وأيهم يرفض . وذلك بدلا من أن تدور المناقشة (. . كما كان سكورزنى يأمل) حول فنيات عمله الجديد . تلك الفنيات التى كان يجهلها والتى كان كاناريس (بحكم عمله ومواهبه) استاذا فيها .

وخرج سكورزنى من تلك المقابلة وهو شبه يائس من النجاح . لأن عقله لم يستطع هضم تلك العقيدة البيروقراطية التى تناقش كل شىء وتدخل الروتين فى كل شىء .

وازداد يأسه بعد ذلك عندما راح يقابل الجنرالات من كل نوع مطالبا باحتياجات القوات الخاصة . فقد كان يجبر عند كل طلب يتقدم به على ملء عشرات النماذج والاستمارات التى كانت تستغرق منه وقتاً ثمينا وطاقة عصبية أثمن . ولكن النجدة جاءته على يد أركان حربه كارل رادل . وكان رادل من زملائه فى الجامعة . وقد التقى به سكورزنى صدفة فى برلين فعينه على الفور أركان حربه .

وكان كارل يستعد فى الجامعة لنيل شهادة الحقوق حين أعلنت الحرب فالتحق ضابطا بالجيش .

وإذا كان سكورزنى قد ضاق ذرعا بالقوانين وبالروتين اللذين كانا يعطلان عمله فان رادل قد استطاع أن يجعل جميع الرئاسات والادارات تصرخ فزعا من تلك الخطابات والاستمارات القانونية الرهيبة التى راح يصوغها ببراعة رجل القانون .وكانت معظم الإدارات (التى طالما واجهت طلبات سكورزنى بالرفض والتعطيل) تفضل أن تجيب طلبات رادل بدلا من التعرض لاستعجالاته وتهديداته القانونية البارعة .

وأراد سكورزنى أن يطلع على تفاصيل أعمال كوماندو الحلفاء فطلب من المخابرات الملف الخاص بها . وجاء الملف فراح يقرأ فيه باهتمام وعمق عمليات الفدائيين فى سانت نازيرودنكرك ولوفوتون . وكانت تعليقات القيادة الألمانية العليا على تلك العمليات لاتتجاوز أنها « عمل من أعمال الهواة » ولكن سكورزنى لم ير ذلك الرأى .فقد وجد فى تلك العمليات وفى أساليبها طريقا جديداً من طرق الحرب . . . طريقا كله إبتكار ومبادأة بغير مبالاة بالروتين والقوانين والتكتيكات التقليدية .

وإذا كان تصريح كازابلانكا قد بلور عقيدته فى القتال فان ذلك الملف قد فجر طاقاته الكامنة ورسم له طريقه الجديد .

وأنشأ سكورزنى مدرسة للفدائيين فى فريدنتال (قريباً من برلين) واتخذ من كوخ صيد مقراً لها . وكان الكوخ يقع فى منطقة مكتظة بالغابات والحشائش العالية .

وبعد قليل راحت العنابر والفصول والحظائر تظهر شيئا فشيئاً بينما كان هو يعمل جاهدا فى إعداد برامج التدريب وفى إبتكار تكتيكاته الجديدة التى هزت أعصاب العالم فيما بعد .

وكانت غارة الفدائيين الانجليز على مركز قيادة رومل (الذى كان يقع وراء الخطوط الأمامية بمائتين وخمسين ميلا) هى التى كونت نظرية سكورزنى القائلة بأنه يمكن كسب نصف الحرب قبل أن تبدأ ، وذلك عن طريق تعطيل أو تحطيم القيادات ومراكز الرئاسات .

ولم يتردد سكورزنى بعد ذلك فى ممارسة أساليبه الابتكارية . ومن ذلك أنه سافر إلى هولندا التى كانت من أقوى مراكز المقاومة السرية فى أوروبا ثم راح يستجوب رجال المقاومة والجواسيس الذين وقعوا فى يد القوات الألمانية . وباللباقة والاقناع استطاع أن يحصل منهم على الكثير من الأسلحة والمهمات التى كانت الطائرات الانجليزية تسقطها لهم ، كما حصل كذلك على الشفرة التى كانوا يستخدمونها فى الاتصال بالانجليز . ولم يتردد سكورزنى فى إستخدام تلك الشفرة للحصول على ما يلزمه من أحدث الاختراعات الحربية الانجليزية . فكان يطلب باللاسلكى ما يشاء من لندن (مستخدما تلك الشفرة) فتجيئه مطالبه فى ظرف يوم على الأكثر عن طريق الاسقاط بواسطة الطائرات وبهذه الطريقة استطاع أن يكبد الحلفاء كميات باهظة من العتاد والسلاح والذخائر وأن يمون قواته مجانا بتلك المهمات .

وقد سمع وهو فى هولندا عن مسدس جديد يطلق الرصاص بدون صوت فأرسل فى طلبه (من لندن) وجاء المسدس فراح يجربه بأن أطل من النافذة فى شارع مكتظ بالمارة (وكان الشارع يقع على قناة يسبح فيهاالبط) ، وأطلق النار على بطة سابحة فقتلها على الفور بدون أن يثير أى التفات .

ولكن عندما حاول سكورزنى أن يقنع المختصين الألمان بتقليد تلك الأسلحة الجديدة وتزويد قواته بعدد منها وقع فى فشل مرير .

فقد كان من بين الاسلحة الانجليزية التى وقعت فى يده رشاش قصير يطلق نيرانه بدون صوت . وأرسل يطلب تصنيع ذلك الرشاش ولكن المختصين أهملوا طلبه مرة ومرات فدعاهم إلى زيارة لفريدنتال وخرج بهم فى جولة قصيرة بالغابة ، بعد أن أمر أحد جنوده بأن يتبعهم على مسافة عشر ياردات ثم يطلق نيران الرشاش خلفهم مباشرة وهم سائرون . ولم يشعر أحد منهم بما كان يحدث حتى عاد بهم سكورزنى من نفس الطريق وراح يطلعهم على آثار الرصاص محاولا اقناعهم بأهمية هذا السلاح . ولكنهم بدلا من أن يقدروا تلك الأهمية ثاروا جميعاً عليه غاضبين من تعريضهم لخطر الاصابة بنيران الرشاش ثم غادروا فريدنتال وهم أشد إصراراً على رفض طلبه .

وبسبب الروتين أيضاً فشلت أول عملية للقوات الخاصة . فقد تلقى سكورزنى أمرا بالعمل على تخريب الطرق وإشعال الثورة فى إيران لتعطيل حركة الامدادات إلى روسيا . ولكن استرضاء القبائل المنتشرة فى جبال إيران كان مستحيلا بغير العملة الذهبية والهدايا التى كان من أهمها الطبنجات ذات المقابض المعدنية المزخرفة . وقد عجز سكورزنى كما عجزت كل براعات رادل عن الحصول على تلك المطالب الأساسية ، ولهذا فقد انهارت جهوده بعد أن كان قد نجح فى تهريب أحد ضباطه إلى إيران وبعد أن تعاقد ذلك الضابط مع زعماء القبائل على القيام بالثورة بمجرد وصول تلك الهدايا .

وتلقى سكورزنى بعد ذلك أمرا من هملر « وزير الداخلية » بالاستعداد لشن غارة ساحقة على منطقة المصانع الروسية فى ماجنيتو جورسك (وراء جبال الأورال) .

وعندما اقتنع سكورزنى بعد دراسة دقيقة باستحالة تنفيذ تلك الغارة جلس إلى مكتبه ليكتب إلى هملر معتذرا عنها . وكان ذلك حريا بأن يثير عليه هيملر الجبار وعندئذ تدخل صديقه الكولونيل والتر شيلينبرج وأعطاه درسا ثمينا فى كيفية التصرف فى مثل ذلك الموقف . . . قال له « كلما كانت الفكرة التى يراها أمثال هملر (فى مراكزهم وخطورتهم) سخيفة كلما وجب أن تظهر لها تهليلا وترحيبا أكثر ثم تروح بعد ذلك توحى إليه بتدخل ظروف خارجية تعطل التنفيذ وكلما طال الوقت بعد ذلك كلما كان أفضل وستجد أنه فى النهاية قد نسى الموضوع بأكمله » .

وأخذ سكورزنى بالنصيحة التى آتت ثمارها فعلا ... ونسى هملر المشروع.

ومع مثل تلك المشروعات الخيالية أو الفاشلة فانه كان على سكورزنى أن يتم إنشاء القوات الخاصة واختيار رجالها وتزويدهم بالمهمات والأسلحة المناسبة وكان شعاره فى التدريب هو « الكل للواحد والواحد للكل » . فقد كان يهدف بصفة أساسية إلى إعداد الفدائى القادر على الابتكار والتصرف لوحدة ، مع مراعاة التعاون مع زملائه وحمايتهم ومع الاصرار على نجاح المهمة التى كلف بها.

* * *

الفصل الرابع

(عليك ان تنقذ موسوليني .)

حتى اليوم الذى سقط فيه موسولينى لم يكن سكورزنى قد رأى هتلر ولا هو حتى كان يتوقع ذلك اللهم إلا على احتمال رؤيته فى أحـد المواكب أو الاستعراضات .

ولذلك فانه عندما تلقى ذات يوم وهو فى فيينا أمرا بمقابلة هتلر لم يصدق أذنيه .

ووصلت إلى فيينا طائرة خاصة لنقـله ، واتجهت به رأسا إلى مقر قيادة هتلر .

وقبل أن تصل الطائرة استطاع أن يترك لأركان حربه « رادل » أمرا بانتظاره على باب القيادة ببذلته الرسمية حيث أنه كان يرتدى فى فيينا الملابس المدنية .

وفى القيادة استقبله أحد الضباط وقاده إلى حجرة استراحة وثيرة حيث وجد خمسة ضباط كلهم أقدم منه فى الرتبة ، وكانوا قد استدعوا مثله بنفس السرعة .

وطال الانتظار حتى ضاق به سكورزنى وهو يتساءل طول الوقت عمّا ينتظره .

وأخيراً استدعوا جميعاً إلى مقابلة هتلر فانتظم الضباط الستة فى صف واحد كتلاميذ المدارس ودخلوا على هتلر ، وراح هتلر يتأملهم جميعاً بنظرات نافذة ويسألهم عن خبراتهم وتجاربهم الماضية ثم وجه إليهم سؤالا « من منكم زار إيطاليا من قبل وما هو شعوركم تجاه الطليان ؟ » .

وأجابوه واحداً بعد الآخر بأنهم يعرفون إيطاليا ويعتقدون أن الطلاينة حلفاء عظام وأن روما هى الشريكة المخلصة لألمانيا أما سكورزنى فكان يفكر بسرعة

بينما كان زملاؤه يجيبون . كان يفكر فى أن إيطاليا كانت قد اقتطعت من النمسا بعد الحرب العالمية الأولى أقليم «ألتو أديك» وكان يفكر بأن هتلر بصفته نمساوى الأصل لا يمكن أن يكون راضياً عن ذلك ، وبالتالى فإنه لا يمكن أن يكون مُحِبّاً للطلاينة . ولذلك فقد أجاب على سؤال هتلر « أيها الزعيم أنى نمساوى » .

وراح هتلر يحملق فيه ساعتها بنظرة عميقه . ولم يضف سكورزنى أى كلمة إلى تلك العبارة ، وعندئذ قال هتلر « كابتن سكورزنى ... فلتبق أنت هنا فانى أريدك . ولينصرف الباقون » .

ووقف الإثنان هتلر وسكورزنى وجها لوجه . . وفجأة قطع هتلر حبل الصمت قائلا « عندى مهمة فى غاية الخطورة والأهمية لك » وبدلا من أن يشرح المهمة مباشرة راح يوضـــح كيف أن موسولينى وقع ضحية للخيانة وتم اعتقاله . الأمر الذى ترتب عليه وجود إيطاليا فى حالة تسمح بغزوها فى أى لحظة . وأنه من المتوقع أن يحاول ملك إيطاليا «الذى دبر المؤامرة ضد موسولينى» هو والمارشال بادوليو الإتصال بالحلفاء واللجوء إليهم ومحاولة عقد الصلح معهم مع تقديم موسولينى كهدية لهم . ثم قال له « أنى لا أستطيع ولا يمكن أن أسمح بتعريض موسولينى لذلك المصير . يجب إنقاذ موسولينى قبل أن يتمكن هؤلاء الخونة من تسليمه إلى الأعداء » .

وكان سكورزنى فى خلال كل ذلك يسأل نفسه أى شأن له بموسولينى والملك وبادوليو ، وجاءته الإجابة من هتلر « أنت ياسكورزنى سوف تنقـــذ صديقى موسولينى » ... وراح سكورزنى ينصت عندئذ فى دهشة إلى هتلر وهو يؤكد على ضرورة السرية المطلقة وأنه يجب أن لا يتجاوز هذا السر هتلر وسكورزنى مضافا إليهما الجنرال ستودنت قائد قوات المظلات الذى سوف يعمل سكورزنى تحت قيادته لأداء تلك المهمة .

وحتى رئاسة أركان حرب الجيش وحتى السفارة الألمانية فى روما يجب أن لا يعلما شيئا عن تلك المهمة .

وأهم من ذلك كله أن أحداً لا يعرف مكان موسولينى وعلى سكورزنى بوسائله الخاصة أن يكتشف هذا المكان ثم ينقذه منه . وختم هتلر الحديث بقوله «عليك

أن تنجح مهما كانت الظروف والمخاطر التي ستواجهها . أن نجاحك في هذه المهمة سوف يؤثر تأثيراً هائلا في سير الحرب وسوف تكون مسئولا عن هذه المهمة أمامي مباشرة » . . ثم أذن له هتلر بالانصراف .

وفي غرفة الاستراحة راح سكورزني يهدىء نفسه بالتدخين عندما جاءه ضابط ليصحبه إلى قائده الجديد الجنرال ستودنت . وما كادا يتعارفان حتى دخل هملر فجأة فانتاب سكورزني شعور بالانزعاج خوفا من أن يكون هملر ما يزال يتذكر عملية ماجنيتوجورسك ، ولكن هملر كان قد نسيها بالفعل . وكان في الواقع قد أتى بأمر هتلر ليعطيهما التعليمات اللازمة .

وبدأ هملر كلامه بأن أحداً في ألمانيا لا يعلم أين تحتفظ حكومة الانقلاب الإيطالية بموسوليني ، ولكن كان من المؤكد أن الحكومة تنوى تسليمه إلى الحلفاء . وساعتها راح اسكورزني يدون تعليمات هملر ، ولكن الأخير استوقفه صارخا في غضب بأن لا يكتب شيئا لأن مثل هذه الأمور الخطيرة يجب ألا تدون على الورق .

وبعد نصف ساعة استأذن سكورزني وطلب رادل بالتليفون بينما كان يشعل سيجارة كان في أشد الحاجة إليها ، وعندئذ فاجأه هملر صائحا « إذن فأنت لا تستطيع العيش بدون تدخين !! هذه عادة سيئة لرجل قد اختاره الفوهرر لمثل هذه المهمة التي تتطلب مجهوداً بدنيا شاقا » . ولم يرد سكورزني بشيء أكثر من احناءة للرأس ثم راح يأمر رادل في التليفون بأن يستعد ومعه خمسين رجل من أكفأ رجال القوات الخاصة للتحرك في الصباح الباكر . ولم يفته أن ينبه عليه بأن يختارهم ممن يتكلمون الإيطالية .

وفي منتصف الليل كان سكورزني يرسل على جهاز « التكر » قائمة مفصلة بالمهمات اللازمة « أجهزة لاسلكية ، قنابل يدوية ، طلقات كاشفة ، أدوات أسعاف ، رشاشات ، نقود إيطالية ، ملابس قسس ، أوراق تحقيق شخصية إيطالية مزورة لكل فرد » .

وفي الثالثة صباحا كان رأسه يدور بعشرات الخطط وهو مستلق على سرير بسيط في مقر قيادة هتلر ، ولكنه في الواقع كان يجهل تماما من أين يبدأ . . .

كل ما كان يعلمه هو أنه سوف يخرج من هـــذه المهمة إما بنيشان عظيم أو برصاصة قاتلة .

وبعد الإفطار (فى اليوم التالى) أرسل أمراً إلى رادل بالتحرك ومعه الرجال بطريق الجو إلى جنوب فرنسا حيث ينتظرون أوامره .

ثم سافر إلى إيطاليا بصحبة الجنرال ستودنت بعد أن تنكر فى ثياب ضابط طيران . وقد كان رداءه الجديد يزعجه لأنه كان ضيقا عليه . (وقد ظلت مشكلة التنكر فى أزياء مختلفة بعد ذلك مشكلة سكورزنى الكبرى لأنه قلما كان يجد ثوبا ملائما لجسمه العملاق) .

وعند وصولهم إلى روما بدت لهم المدينة هادئة بدرجة مريبة . وفى المساء توجه مع الجنرال ستودنت لتناول العشاء مع الجنرال كيسلرنج (القائد العام للقوات الألمانية فى إيطاليا) . وكان من الغريب حقا أن كسلرنج كان على جهل تام بمهمة سكورزنى ولذلك فقد استقبله على أنه مجرد مرافق للجنرال ستودنت .

وبعد ثلاثة أيام استدعى سكورزنى رجاله وأبقاهم فى معسكر ألمانى فى ضواحى روما بغير أن يشبع فضولهم ولو بأقل أشارة إلى مهمتهم الخطيرة المنتظرة ولكنه أخبر رادل فقط بالمهمة وذلك لحاجته إلى جمع الأنباء المزيفة والكاذبة التى كانت تذاع فى كل مكان عن مصير موسولينى .

وكان الفيلد مارشال كيسلرنج يؤمن بأنه — بالرغم من سقوط موسولينى ونجاح الحلفاء فى غزو صقلية — يستطيع أن يستبقى إيطاليا فى الحرب إلى جانب ألمانيا . أما هتلر فكان يشك فى ذلك ولكنه كان يرغب فى الوقت نفسه فى تجنب الاصطدام بالطليان لأن القوات الألمانية فى إيطاليا كانت أقل نسبيا من القوات الإيطالية كما أنه كان يأمل — عن طريق التظاهر بتصديق تأكيدات الحكومة الإيطالية بأنها سوف تستمر فى الحرب إلى جانب ألمانيا — فى أن يتعرف على مكان موسولينى .

وكانت اللعبة الإيطالية واضحة . فقد كان الملك عمانويل ورئيس وزرائه الجديد (المارشال بادوليو) يلعبان على الحبلين باطمئنان . فمن ناحية كانا يواليان

إصدار التأكيدات لهتلر بأنهما إلى جانبه ومن ناحية أخرى كانا يفاوضان الحلفاء سراً على الصلح وفى يدهما ورقة رابحة فى تلك المفاوضات وهذه الورقة هى موسولينى .

وعلى ذلك فقد كان كل من الجانبين يتربص بالآخر ... الطليان يحاولون استبدال صداقة الألمان بصداقة الحلفاء ، والألمان يقومون فى هدوء باحتلال النقط القوية والمواقع التكتيكية الحاكمة والمناطق ذات الأهمية الاستراتيجية .

ورأى أن أثمن قطعة فى لعبة الشطرنج الهائلة هذه كان هو موسولينى .

وبالنسبة لهتلر كان إنقاذ موسولينى كفيلا بتقوية جانبه وتأمين ظهره كما كان كفيلا باستعادة هيبته التى كانت قد اهتزت كثيرا منذ سقوط ستالينجراد . كما أن إنقاذ موسولينى كان سيوفر تأكيداً لكل أتباعه من حكام دول أوروبا المحتلة بأنهم فى أمان مابقوا على ولائهم لهتلر .

ولم يفت هتلر أن يدبر انتقاما مناسباً من الملك وبادوليو فجهز خطة لاختطافهم جميعا وكان دور سكورزنى فى تلك الخطة هو اختطاف ولى العهد الأمير أمبرتو من قصر الـكويرينال .

ولكن سكورزنى لم يكن يهمه من ذلك كله سوى أن يتم مهمته ويستعيد موسولينى .

ولكن الأمر لم يكن سهلا فقد ألقى القبض على موسولينى وهو يغادر قصر الرياضة ثم تحركت به عربة أسعاف إلى حيث لا يعلم أحد . وبعد ذلك انتشرت مئات الإشاعات عن مكانه وهى إشاعات لم تكن ترجع إلى الواقع بقدر ماكانت ترجع إلى أسلوب الإيطاليين فى تلقى الإشاعات وتجسيمها وتبادلها بسرعة البرق .

وكانت حكومة بادوليو تطلق بنفسها عشرات الإشاعات الزائفة عن مكان موسولينى وذلك لتزيد من تشتيت جهود الألمان فى البحث عنه .

وهكذا راحت الإشاعات تترى ... موسولينى فى المستشفى ... موسولينى فى البرتغال ... موسولينى فى روما .

على أن الأغرب من ذلك كله هو أن همار كان يجمع قراء الطوالع الفلكية كل يوم ويسألهم عن مكان موسوليني ! ! ! .

وتلقت المخابرات الألمانية ذات يوم خبراً مؤداه أن جنديا من الشرطة فى جزيرة يونزا قد كتب خطابا إلى صديقته (الخادمة فى روما) بأنه شاهد موسولينى تحت الحراسة فى يونزا . كما تلقت (المخابرات) خبراً آخر بأن موسولينى نقل من يونزا على ظهر طرادة إلى ميناء سبيزا .

وللحال أصدرت برلين أمرا يقول « هاجموا الطرادة فى الحال وأنقذوا الأسير » ... أما كيف يمكن مهاجمة طرادة حليفة فهذا مالم توضحه برلين !! .

ولحسن الحظ وصل خبر من أحد ضباط الاتصال بأن موسولينى نقل إلى قرية فى جزيرة سردينيا ومنها إلى ميناء لامادلينا (وهو ميناء محصن فى جزيرة صغيرة قريبة من سردينيا) حيث يعيش تحت حراسة مشددة فى فيللا تدعى فيللا ويبر . وعلى الفور سافر سكورزنى إلى سردينيا وبصحبته الملازم وارجر الذى كان يجيد الإيطالية إجادة تامة ، وهما متنكرين على صورة بحارين المانيين قادمين إلى ضابط الاتصال الألمانى فى لامادلينا .. وفى لامادلينا أمر سكورزنى الملازم وارجر بأن يدور فى الميناء ويثرثر مع البحارة الطلاينه زاعما أن موسولينى قد مات أو هرب من إيطاليا كلها . وذلك على أمل أن يزل لسان أحدهم فيرد بأن موسولينى (قطعا) لم يمت أو يهرب . وفى مثل هذه الحالة فإن وجود موسولينى فى لامادلينا يكون أقرب إلى التأكيد ...

ونجحت الحيلة . . . فقد ثار أحد تجار الفاكهة فى الميناء على اشاعة موت موسولينى (لأنه كان يراه كل يوم فى فيللا ويبر وهو يوصل الفاكهة إليها) ولم يتمالك أن قاد وارجر إلى تل قريب من فيللا ويبر وأشار له نحو الشرفة مؤكدا أنه رأى موسولينى وهو يتمشى فيها بين حراسه فى نفس الصباح .

وفى اليوم التالى تأكد سكورزنى (من ثرثار آخر) من وجود موسولينى فى تلك الفيللا كما أن عدد الجنود الكبير الذى كان يملأ المنطقة جاء تأكيدا نهائيا لتلك الحقيقة . وكان عليه أن يبادر بالعمل .

وطلب طائرة استكشاف واستقلهـــا وراح يدور بها فوق الميناء

ويحوم حول فيللا ويبر ويلتقط عشرات الصور بكاميرته الخاصة، وعندما كادت مهمته تقترب من نهايتها فوجىء هو والطيار بعدة طائرات بريطانية مقاتلة تهاجمهم وتسقط طائرتهم فى البحر . وأغمى على سكورزنى من شدة الصدمة ولكن الطيار استطاع أن ينقذه ويضعه على طوف عائم وأفاق سكورزنى من أغمائه فى الوقت المناسب ليعود إلى الطائرة وهى تكاد تختفى تحت الماء ويستنقذ منها الكاميرا . وبادر قارب إيطالى مسلح بإنقاذهما ولكن سكورزنى قضى فى فى القارب وقتا عصيبا وهو يتجنب نظرات الشك التى كان يحيطه بها قائد القارب وبحارته . وكان من الواضح أن ذلك القارب هو من قوارب الحراسة المخصصة حول موسولينى .

وعاد سكورزنى ليلتقى بقوته وكارل رادل على رأسها ثم راح يرسم الخطط اللازمة لانقاذ موسولينى .

وبينما كان الاثنان فى غمرة التخطيط والاستعداد وصلت إشارة لاسلكية من برلين تقول « موسولينى موجود تحت حراسة مشددة فى جزيرة البا . وعلى الكابتن سكورزنى أن يفيدنا بموعد هجومه المنتظر على الجزيرة لإنقاذ موسولينى » . وكانت تلك المعلومات الجديدة صادرة رأسا من مكتب مدير المخابرات الادميرال كناريس . ومن ذا الذى يستطيع أن يكذب كناريس؟ !! أو يريد أن يصطدم معه؟

ومع ذلك فقد قرر سكورزنى أن يرفض معلومات كناريس ويخالف أيضاً الأمر الصادر إليه من هتلر بمهاجمة البا . فقد كان متأكدا من أنه على صواب ومن أن كناريس على خطأ .

وعرض سكورزنى رأيه على الجنرال ستودنت وكسبه إلى صفه . ثم سافر بصحبته إلى مقر قيادة هتلر ليعرض عليه خطته .

وفى مكتب هتلر فوجىء سكورزنى بقادة الرايخ كلهم ... ريبنتروب (وزير الخارجية) على يمين هتلر والمارشالان كيتل وجودل أمامه ، والجراند أدميرال دوينتز (قائد الأسطول الألمانى) والمارشال جورنج (قائد السلاح الجوى) على يساره ... وكانوا كلهم جالسين على مقاعد وثيرة وعلى رأسهم هتلر بوجهه الجامـــد .

وعرض سكورزنى رأيه ومعلوماته فى كلمات سريعة واضحة .

وعندما أشار سكورزنى إلى خدعة وارجر فى الميناء وماأدت إليه من انفجار تاجر الفاكهة بالحقيقة راح جورنج يقهقه فى ابتهاج شديد .

وعندئذ نهض هتلر وصافح سكورزنى فى أعجاب قائلا « أنت على حق وأنا أسحب أمرى بمهاجمة البا . والآن ما هى خطتك لمهاجمة لامادلينا ؟ » .

وكانت خطة سكورزنى بسيطة وتتلخص فى قيام بضع كاسحات الغام وسفن حربية ألمانية صغيرة بزيارة ودية لميناء مادلينا ومن الميناء يتحرك سكورزنى على رأس رجاله ومعهم كل ما يمكن جمعه من البحارة فى طابور استعراض تتوسطه فرقة موسيقى عسكرية ثم يدور ذلك الطابور فى شوارع المدينة ويسير (كأنه يسير عفوا) فى الطريق إلى فيللا ويبر . وهناك يتحول الطابور فى ثوان إلى قوة مقاتلة تهاجم الفيللا وتنقذ موسولينى . وبرر سكورزنى خطته بأنه لو سار الإنسان إلى هدفه متظاهرا بأن العنف هو آخر شيء يفكر فيه فإنه سينجح فى تحقيقه بنسبه ٩ إلى ١٠ .

ووافق هتلر والمارشالات على خطة سكورزنى . وبذلك استطاع أن يحقق حلمه القديم فى الوصول إلى القمة . وهاهو الآن واقف عليها بجانب هتلر ، وقادة ألمانيا يحنون رؤوسهم إعجابا به ويؤيدون خطته .

ولكن هتلر أيقظه من حلمه قائلا « يجب أن تدرك ياكابتن سكورزنى بأنى مضطر — فى حالة فشلك — إلى تجريدك من رتبتك ومعاقبتك على يد مجلس عسكرى لأن إيطاليا لاتزال حليفتنا إسميا . وسوف أضطر لصالح الدولة إلى التصريح بأنك قمت بهذا الهجوم لحسابك الخاص وبدون أى أوامر وأنك خدعت القوات التى اشتركت معك فى ذلك الهجوم . وأكثر من ذلك أنه يجب عليك فى حالة محاكمتك ألا تدافع عن نفسك وأن تقر بأن الطموح وحده هو الذى دفعك إلى تلك المغامرة » .

وأحنى سكورزنى رأسه فى استسلام فلم يكن هناك مايرد به على كلام هتلر وتذكر عندئذ مايقال عن مغامرة مماثلة ... عن طيران هيس وحده لعرض صلح منفصل على بريطانيا وكيف اتهمة هتلر والحكومه الألمانية بالجنون عندما فشل فى عقد الصلح .

وختم هتلر الجلسة بأن وضع يده على كتف سكورزنى ثم سدد إليه نظرة نافذة وقال « أنك ستنجح » .

وعاد سكورزنى إلى روما وقص ماحدث على رادل الذى لم يتمالك أن هتف « لابد أن همار يجهز لنا الآن زنزانة فاخرة فى أحد سجونه الخاصة » .

وجاء يوم التنفيذ .

وتحرك الأسطول الصغير بقيادة سكورزنى ودخل إلى الميناء بسلام (بحجة الزيارة الودية) .

وترك سكورزنى الرجال يستعدون لطابور الاستعراض ثم راح هو ووارجر يقومان بالاستكشاف الأخير .

والتقى الإثنان بجندى قادم من فيللا ويبر وراحا يستدرجانه إلى الكلام .. وفى سذاجة راح وارجر يزعم أن موسولينى قد أعدم وأنه سمع ذلك من الطبيب الذى رافقه إلى ساحة الإعدام . ونجحت الحيلة فى تلك المرة نجاحاً أنقذ سكورزنى من الضياع التام .. فقد هتف الجندى باستنكار « إعدام !!! أننى رافقت الدوتشى (موسولينى) بنفسى إلى طائرة الإسعاف التى أقلته صباح اليوم من فيللا ويبر إلى مكان مجهول » ..

وفى خشوع شديد راح سكورزنى ساعتها يصلى (فى سره) شكراً لله على ذلك الخبر الذى جاء فى وقته . فلو أنه قام بالهجوم على الفيللا وهى خالية من موسولينى فانه كان من المؤكد أن هتلر سينفذ تهديده بمحاكمته .

وعاد إلى السفن بغاية السرعة وألغى العملية كلهـــا بعد أن تحقق من أنه كانت توجد طائرة إسعاف بحرية راسية فى الميناء منذ أيام وأنها أقلعت فى نفس الصباح .

وفى روما راح سكورزنى يواجه لعبة الشطرنج المحيرة . فقد كان المارشال بادوليو قد وقع الصلح (سرا) مع الحلفاء فى صقلية ولكنه راح يتظاهر بالولاء لألمانيا انتظارا لنزول جيوش الحلفاء فى إيطاليا نفسها . وتظاهر الألمان بأنهم يصدقونه فى الوقت الذى راحت قواتهم تحتل فى هدوء كل المواقع والتلال الحاكمة حول روما وعلى طول شبه الجزيرة الإيطالية .

وفى جهد دائب متصل راحت كل أجهزة المخابرات الألمانية تبحث عن موسولينى . وبعد عشرات الأخبار والمعلومات الخاطئة جاء الخبر اليقين على صورة رسالة بالشفرة موجهة إلى وزارة الداخلية الإيطالية . وكانت الرسالة تقول « تم تنفيذ إجراءات الأمن والوقاية حول جراندساسو » والتوقيع شويلى . وكان جواسيس سكورزنى قد أنبأوه من قبل بأن جنرالا إيطاليا إسمه شويلى هو المسئول عن التحفظ على موسولينى .

وكان وجود موسولينى فى الجراند ساسو مشكلة فى حد ذاته . فقد كانت منطقة الجراند ساسو تقع على أعلى قمة من قمم جبال الابنين وعلى مسافة تبعد عن روما (بالطائرة) مائة ميل . وكانت الجبال تعلو فى تلك المنطقة إلى أكثر من عشرة آلاف قدم .

وانكب سكورزنى على الخرائط يدرسها محاولا أن يتبين أين يمكن أن يوجد موسولينى فى تلك المنطقة الجبلية الوعرة .

ووجد المكان . . . أنه فندق يدعى كامبو أمبراتورى وقد تم بناءه حديثا على قمة مسطحة ترتفع إلى ستة آلاف قدم .

ومن دليل للسياحة ظهر أن الطريق الوحيد للفندق هو مصعد هوائى وكان معنى ذلك هو أن الهجوم على الفندق بطريق البر مستحيل ، وأنه مستحيل أيضا عن طريق المصعد . أولا لأن حمولة المصعد لاتتجاوز عشرة ركاب وثانيا لأن قطع سلك المصعد أمر فى غاية السهولة كما أنه كان من البداهة بمكان أن يقوم الحراس بقطع ذلك السلك عند وجود اقل شبهة .

وأرسل سكورزنى بعض الجواسيس لاستكشاف المنطقة وعاد هؤلاء ليخبروه بأن جميع الطرق المؤدية إلى منطقة الجراند ساسو مغلقة بقوات عسكرية ضخمة وأن أحدا من السكان لايعرف شيئا عما يجرى هناك .

وفى ٨ سبتمبر طار هو ورادل فى طائرة استكشاف وراحا يدوران فوق منطقة جراند ساسو . وهناك فوجئا بتعطل الكاميرا الاتوماتيكيه فاضطر سكورزنى إلى الخروج بمعظم جسمه من برج المدفعى الخلفى بالطائرة ثم راح يصور المنطقة بكاميرته ورادل يمسك بقدميه ويقهقه على منظر قائده وهو نصف

مدلى فى السماء والهواء البارد يلفح وجهه ويحيل لونه إلى لون بنفسجى عجيب . وعندئذ أمره سكورزنى بأن يحل محله فى التصوير وأمسك بقدميه وتركه هكذا يعانى لفح الهواء حتى كاد يتجمد .

على أنهما عادا بالصور التى كانا يبغيانها .. صور الفندق والفناء وصور القمة التى كانت على شكل مثلث ، وأخيراً محطة المصعد الهوائى الصغيرة .

ولم تنته متاعبهما بانتهاء التصوير . فقد التقت بهما فى طريق العودة قوة ضخمة من الطائرات الأمريكية وراحت تحاصر طائرتهما من كل جهة . وعندئذ أمر سكورزنى الطيار بأن يطير على ارتفاع قليل جدا من سطح الأرض . ونجحت الحيلة وتاهت الطائرة عن أنظار الطيارين الأمريكان بين المعالم الأرضية .

ونزلت الطائرة أخيرا فى المطار الذى كان قد تعرض لغارة عنيفة .

أما روما فكانت تعيش تلك اللحظة فى انفعال عنيف . فقد نزل الحلفاء فى سالرنو بصقلية وأعلنت إذاعاتهم أن إيطاليا قد استسلمت .

وبذلك تكون مباراة الشطرنج قد انتهت إلى نتيجة واضحة هى إعلان إيطاليا عن انضمامها إلى الحلفاء رسميا . وبدأت المعارك على أثر ذلك تنشب بين القوات الألمانية والقوات الإيطالية .

وكان معنى ذلك هو أن انقاذ موسولينى قد أصبح مستحيلا بغير معركة حربية واسعة النطاق . ولكن كان فى ذلك خير لسكورزنى ورادل من وجهة نظر الأخير .. إذ لم يعد هناك أى داع لتلك الزنزانة التى لابد أن يكون هملر قد تعب فى إعدادها له .

وبتحوّل الموقف إلى تلك الصورة لم يعد سكورزنى ملتزما بمراعاة اللياقة والديبلوماسية مع الطليان كما كان مضطرا أن يفعل من قبل .

وكانت الأدلة كلها تقطع بوجود موسولينى فى الفندق . فمنذ أيام قليلة أوحى سكورزنى إلى طبيب طيب القلب من أطباء الجيش الألمانى بأنه يستطيع أن يجد مكانا مثاليا ليقيم فيه مصحا للجنود الناقهين ... وذلك المكان هو فندق كامبو امبرا تورى . وذهب الطبيب بسذاجة إلى المنطقة ليفاجأ هناك بعدة كتائب

من جنود الكابينارى الايطاليين تأمره بالعودة . وعندما اتصل تليفونيا بالفندق رد عليه ضابط إيطالى بغلاظة ثم أقفل الخط فى وجهه .

وفى نفس الوقت علم سكورزنى أن نقابة عمال الفنادق قدمت احتجاجا شديدا إلى السلطات الايطالية على طرد جميع موظفى وخدم فندق كامبو امبراتورى فجأة وبدون سابق انذار . وعندما أرسل جواسيسه إلى النقابة عادوا يؤكدون أن خدم الفندق شاهدوا موسولينى وهو يدخل تحت الحراسة قبل طردهم بقليل .

ولم يملك سكورزنى إلا أن يعجب بالايطاليين الذين اختاروا ذلك المكان سجنا لموسولينى . فقد كان مجرد اقتحام تلك المنطقة الجبلية يحتاج إلى عدة فرق ألمانية ، وكان نجاح ذلك الاقتحام يتطلب ثمنا باهظا من الأرواح . وحتى لو نجح الاقتحام فانه كان يتطلب من الوقت ما كان يكفى لأن يقوم الحراس باخفاء موسولينى بين الجبال أو قتله .

وبدا الأمر كما لو كان أقرب للمستحيل . فقد حسب الإيطاليون حسابا لكل شيىء . . . اللهم الا شيء واحد هو محاولة فرد أو أفراد قلائل أن يتسللوا إلى المنطقة . فقد كان واضحا أن دفاعهم موجه فقط ضد الهجوم الثقيل على المنطقة .

واضطر سكورزنى أن يترك جميع خطط الهجوم الأرضى وراح يفكر فى الهجوم من الجو بجنود المظلات . ولكن ذلك أيضاً كان مستحيلا لأن الهواء الرقيق فوق الجبال كان كفيلا بهبوط الجنود بسرعة فظيعة وتحطيم أجسادهم على الصخور هناك .

ولم يبق بعد ذلك إلا النزول بطائرات شراعية .

وعاد ينظر إلى الصور وإلى ذلك المثلث الذى يقع أمام الفندق . فلو أنه كان مستويا ومسطحا ، لأمكن لبضع طائرات شراعية أن تنزل عليه . وفى مثل هذه الحالة قد تستطيع القوة التى تهبط من الطائرات بسرعة أن تهاجم الفندق وتنقذ موسولينى قبل أن يستطيع حراسه أن يقتلوه ، ثم تنزل به بعد ذلك بالمصعد الهوائى إلى الوادى الذى يكون جنود المظلات قد هبطوا إليه فى نفس اللحظة

واستولوا على مفارق الطرق وعلى محطة المصعد الهوائى . ومن هناك يتحرك الجميع فى أمان إلى روما .

وحسب سكورزنى الوقت اللازم للوصول إلى موسولينى — بعد هبوط الطائرات الشراعية — فوجد أنه لا يتجاوز ٣ دقائق أما الوقت اللازم للافلات به فيجب أن يترك للحظ . وعندما عرض سكورزنى خطته على الجنرال ستودنت وجد أنه فى حالة من الارهاق لا تسمح له بالبت وحده فى الخطة فاستدعى إليه ضابطين من كبار ضباط الطيران .

وللمرة الثانية راح سكورزنى يشرح لهما خطته . ورفض الضابطان الخطة ببساطة وقالا أن المثلث لا يسمح بهبوط الطائرات الشراعية لصغر مساحته وقالا أن الخسائر فى ذلك الهبوط لن تقل عن ٨٠٪ من الأرواح ، هذا فى الوقت الذى لا يمكن فيه هبوط أكثر من ثلاث طائرات حمولتها مائة رجل ، وبذلك يتبقى ٢٠ رجل فقـــط لمواجهة الفندق الذى كان تحت حراسة ٢٥٠ رجل على الأقل !!! .

ولم يملك سكورزنى أعصابه فالتفت إلى ستودنت وألقى بالورقة الأخيرة قائلا « سيدى ... فى حالة عدم موافقتكم على تلك الخطة فليس عندى غيرها ولا يبقى سوى الغاء المشروع كله وإفادة الفوهرر بأن أمره مستحيل التنفيذ » . ونجحت الرمية فسلم ستودنت على الفور بالخطة .. وتقرر عندئذ أن يقوم بالهجوم ١٠٠ رجل ، منهم ٨٠ من جنود المظلات و ٢٠ من القوات الخاصة .

وانطلق سكورزنى إلى رجاله وطلب منهم ١٨ متطوعا قائلا « إن هناك مهمة خطيرة بأمر الفوهرر شخصيا وأريد ١٨ متطوعا فقط . ويغلب أن تكون الخسائر فى الأرواح فادحة ولذلك فانه لا بأس على أى منكم أن يفكر فى الأمر مرتين ، أو أن يتراجع وسوف لا يعلم بذلك أحد سوانا وسوف يظل احترامنا له كما هو » وعندئذ تقدم جميع الرجال متطوعين وصار على سكورزنى أن يختار هو الثمانية عشر رجلا اللازمين .

وقضى هو ورادل الرجال الساعات الباقية على ساعة الصفر فى إعداد المهمات والأسلحة اللازمة .

وكانت ساعة الصفر هى السابعة من صباح يوم ١٢ سبتمبر .

وفى الموعد المحدد تحركت قوات المظلات لاحتلال الوادى وتحرك سكورزنى مع رجاله بالطائرات الشراعية .

وبينما كان الجميع فى الجو فوجئوا بإذاعة الحلفاء وهى تقول « لقد تم تسليم موسولينى إلى قيادة القوات المتحالفة فى شمال أفريقيا وقد حملته إلى هناك بارجة إيطالية » . وبينما راح جنود سكورزنى ينظرون إليه وهم ينتظرون أمره بإلغاء العملية والعودة ، إذ به يقهقه ويأمر بالاستمرار . فقد تذكر عندئذ أن السفن الحربية الإيطالية ترسو فى موان بعيدة عن جراند ساسو وأن المدة التى انقضت ما بين تأكده من وجود موسولينى هناك وبين تسليمه المزعوم إلى الحلفاء لا تسمح مطلقاً بتلك الرحلة الطويلة لبارجة تتحرك عبر البحر الأبيض فى مواجهة أساطيل الحلفاء .

الفصل الخامس

إنقاذ موسولينى

« إن التاريخ ليحفل فى كل دهر عصر بالعديد من قصص الهروب والنجاة من الخطر ، ولكن قصة نجاتى من معتقلى فى جراند ساسو سوف تظل تروى عبر المستقبل البعيد وسوف تبقى عند مقارنتها بغيرها هى الأجرأ والأعجب » .

موسولينى

كان ذلك اليوم من سبتمبر يوما مضيئا راكد الرياح .

وكانت هناك سحب متناثرة تغطى المنطقة . ولذلك فقد كان سكورزنى ورجاله يأملون أن تختفى طائراتهم بين السحب حتى تصل إلى معتقل موسولينى .

ولكن ذلك الأمل تبدد بسبب تأخر الطائرات الشراعية فى الوصول من ساحل الريفييرا الفرنسى . وبذلك تأجل موعد الإقلاع حتى الساعة الحادية عشر بدلا من السابعة صباحا . وكان من رأى الجنرال ستودنت أن يؤجل العملية عندئذ لمدة ٢٤ ساعة . ولكن ذلك التأجيل كان يشتمل على المخاطرة بموسولينى ذاته لأنه كان من المحتمل أن يقوم الطليان بنقله وتسليمه إلى الحلفاء فى أى لحظة

وظهر خطر آخر . . متمثلا فى أن نزول الطائرات الشراعية فى وقت الظهيرة يعد مغامرة غير مأمونة العواقب بسبب التيارات الهوائية الساخنة التى تكثر فى ذلك الوقت والتى يمكنها أن تنحرف بالطائرات عن مهبطها فى ذلك المثلث الضيق قرب الفندق ومن ثم تقذف بها من حالق لكى تتحطم على مدارج الجبل وصخوره . ولكن سكورزنى رأى فى ذلك عاملا مساعداً على المفاجأة لأن أحداً لا يمكن أن يتوقع أن تحاول الطائرات الشراعية النزول فى ذلك الوقت على قمة جبل .

وبابتسامة مرحة راح سكورزنى يدور على رجاله ويوزع عليهم علب الحلوى التى كان قد اشتراها خصيصاً ليضفى على الرحلة المنتظرة طابع الرحلات الخلوية المرحة .

وجاءت برقية بأن الطائرات ستتأخر عن الحادية عشر .

وقدر رادل أن الإقلاع مستحيل قبل الساعة الواحدة بعد الظهر .

ولم يتورع رادل عن استغلال الوقت الباقى فى تنفيذ فكرة بهلوانية خطرت على باله . فذهب إلى روما وعاد منها وبصحبته الجنرال الطليانى سوليتى وذلك ليصطحبه معهم فى محاولة إنقاذ موسولينى . . وشرح رادل فكرته لسكورزنى . . . . ان وجود جنرال طليانى بملابسه الرسمية مع المهاجمين سوف يربك المدافعين عن الفندق ويسهل مهمة اقتحامه . ولم يتردد سكورزنى فى قبول الفكرة والترحيب بالجنرال الذى كان يميل ميلا شديدا للألمان .

وتقرر أن تقلع إثنتا عشر طائرة شراعية تحمل كل منها ١٠ رجال وتنزل الطائرتان الأوليان لكى يحتل رجالها أرض المهبط ويغطون نزول الطائرة الثالثة التى تقل سكورزنى وسوليتى ثم تتبعها الطائرة الرابعة التى تقل رادل وتتالى بعد ذلك باقى الطائرات .

وما كادت الطائرات تصل وتستعد لاستقبال سكورزنى ورجاله حتى دوت صفارات الإنذار وجاءت قوة ضخمة من قاذفات القنابل وشنت غارة هائلة على المطار .

ولجأ الجميع إلى المخابىء ثم خرجوا منها بعد انتهاء الغارة ليجدوا أن الطائرات لم تصب بأى خدش .

واستقلت القوة الطائرات . وأقلعت على الفور . ولم يدر سكورزنى (قبل منتصف الطريق) أن الطائرتين الأخيرتين سقطتا فى حفر القنابل على أرض المطار وعجزتا عن الإقلاع .

وما كادت طائرة سكورزنى تعلو فوق السحب حتى فوجىء بأنه لاتوجد أى طائرة أمامه . . . لقد ضلت الطائرتين الأوليتين الطريق وبذلك صار يتحتم عليه النزول عند الفندق بغير حماية .

وأدهى من ذلك أنه لاحظ أن الطائرة القاطرة كانت تدور على غير هدى ساحبة طائرته الشراعية ورائها . وحاول أن يطل على الأرض ليعرف أين هو ولكن ضيق المكان فى الطائرة التى كانت محتشدة بالجنود وبالأسلحة لم يسمح له

بأكثر من أن ينظر إلى الأمام . وعندئذ لم يتردد فى فتح مطواته ثم راح يقطع بها نافذة فى أرضية الطائرة ومن هناك شاهد منطقة الجراند ساسو ورأى الفندق قريباً فأمر قائد الطائرة الشراعية بالانفصال عن الطائرة القاطرة . وأطاع الطيار الأمر وأطلق الحبل الذى كان يربطه بالطائرة القاطرة ثم مال بالطائرة نحو الفندق وما كاد يقترب منه حتى راح يحملق فى المثلث الضيق فزعا ثم قال لسكورزنى أن النزول مستحيل لضيق المهبط من ناحية ولأن أرض المهبط كانت مكتظة بالصخور الصغيرة من ناحية أخرى .

وكان الجنرال ستودنت قد أعطى لسكورزنى أمراً حاسماً بأن يتخلى عن المحاولة ويهبط بالطائرات فى الوادى عند وجود خطر محقق من النزول على القمة .

ولم يأبه سكورزنى لا بالخطر ولا بأوامر ستودنت وأمر الطيار بالهبوط هبوطا اضطرارياً (على بطن الطائرة وليس على عجلاتها) وأطاع الطيار فى يأس وهبط بتلك الطريقة . وراحت الطائرة تقفز على الأرض الخشنة كالطائر الجريح وبدا أنها سوف تستمر فى القفز حتى الحافة . ولكنها وقفت أخيراً على مسافة ٢٠ ياردة من الفندق . . وومضت أمام سكورزنى عندئذ الفترة الزمنية التى كان قد قدر أن انقاذ موسولينى يمكن فى خلالها . . . الثلاث دقائق . فاندفع عندئذ من الطائرة ليجد أمامه مباشرة جندياً من جنود الحراسة وهو يحملق فى ذهول فى تلك الطائرات التى هبطت عند قدميه فجأة من بين السحب . ولم يعره سكورزنى التفاتاً بل تركه واندفع إلى الفندق واقتحم أول باب وجده فشاهد جندياً جالسا إلى جهاز لاسلكى وهو يرسل بعض الإشارات فدفع الكرسى من تحته بقدمه فهوى الجندى على الأرض ثم حطم سكورزنى الجهاز بضربة واحدة من كعب بندقيته، وخرج من الحجرة ودار حول ركن ، بينما كان رجاله مسرعين من خلفه ووجد أمامه شرفة تعلو ١٠ أقدام عن الأرض فاستعان برجاله وقفز إليها ومن الشرفة لمح وجهاً لا يمكن أن يخطىء فى معرفته وكان هو وجه موسولينى وهو يطل من نافذة فى الدور الأعلى وعندئذ صاح به سكورزنى « عد إلى الحجرة . . ابتعد عن النافذة » . ثم اقتحم باب الشرفة ليجد نفسه فى صالة الفندق التى كان يحرس بابها الرئيسى جنديان إيطاليان . وبينما كان الجنديان يحملقان فيه كما لو كانا قد شاهدا شبحاً إذ برجال سكورزنى يحطمون الباب من الخارج بكعوب البنادق ويدخلون

إلى الصالة ومن ورائهم الجنرال سوليتى وهو يصيح ويهتف بالإيطالية مضيفاً بذلك إلى الموقف إضطراباً جديداً .

وبكل بساطة تقدم سكورزنى من مجموعة جديدة من الجنود الطليان كانت قد ظهرت فى البهو ، وراح يشق طريقه بينهم متجهاً إلى السلم تماماً كما لو كان يشق طريقه نحو البلكون فى إحدى السينمات .

وقبل أن يفيق الطليان لأنفسهم ويفكروا فى إطلاق النار عليه كان قد اختفى هو والملازم شويدت (وهو من أشجع ضباطه) فى الطابق الأعلى .

واقتحم سكورزنى الحجرة التى شاهد موسولينى فى نافذتها وتبعه شويدت وفى نفس اللحظة ظهر فى النافذة وجهان لرجلين من رجاله كانا قد تسلقا فوق مانعة الصواعق . وهجم الأربعة (سكورزنى وشويدت والجنديان) على الملازمين الطليانيين اللذين كانا يحرسان موسولينى وقيدوهما فى ثوان وألقوا بهما خارج الحجرة . وقام شويدت بدور الحارس الخاص لموسولينى عندئذ .

وأطل سكورزنى من النافذة ليجد أن طائرة رادل قد هبطت ورادل يجرى منها نحو الفندق فصاح به « وجدنا موسولينى . . كل شيء تمام حتى الآن . . . عليك بالطابق الأرضى . »

وجاءت بعد ذلك ثلاث طائرات شراعية أخرى وتدفق الرجال منها ثم جاءت طائرة رابعة ولكنها تحطمت تماماً وهى تهبط ولم يبق لديه بعد ذلك أى أمل فى هبوط طائرات أخرى لأن المهبط المثلث كان مكتظا بالطائرات . فتحول إلى الباب ومن أعلى السلم صاح بإيطاليته الرديئة فى الجنود الطليان . « أننى أريد قائدكم . . . فليصعد إلى فوراً » وظهر على السلم عندئذ كولونيل طليانى فهتف به سكورزنى « أننى أطلب منك التسليم فوراً أنت ورجالك . . . موسولينى فى أيدينا . . . ونحن نحتل الفندق بأكمله . . أمامك دقيقة واحدة للتسليم إذا شئت أن تتجنب إراقة الدماء . »

وتحول الكولونيل إلى رجاله ثم عاد قبل أن تنقضى الدقيقة وفى يده زجاجة نبيذ قدمها إلى سكورزنى وهو يقول «هدية إلى منتصر شجاع» ولم يتردد سكورزنى فى قبول الهدية وراح يعب من النبيذ فى ارتياح ويشكر الكولونيل . وعندئذ تعالت الهتافات فى الصالة من الألمان والطليان على السواء .

وجاء موسولينى وقد بدا أن العمر قد تقدم به كثيراً منذ اعتقاله وهو يرتدى

حلة زرقاء كانت واسعة عليه . وكانت لحيته قد نمت وكانت عيناه السوداوان تبرقان فرحا وانفعالا .

لقد كانت لحظة تاريخية هتف فيها سكورزنى « أيها الدوتشى لقد حضرت بأمر الفوهور لإنقاذك » فرد عليه موسولينى بلهجته المسرحية المعروفة « إننى كنت أعرف أن صديق أدولف هتلر لن يتخلى عنى . . . أننى أحيى منقذى . »

ووجه سكورزنى بعد ذلك اهتمامه إلى تجريد الحامية الإيطالية من السلاح . وقد وجد أن حظه السعيد قد أوقع فى يده أسيراً فى غاية الأهمية هو الجنرال سويلى بلحمه وعظمه . . . القائد الذى كان مسئولا عن حراسة موسولينى والتحفظ عليه طول مدة اعتقاله . وقد كان سويلى سيء الحظ فعلا مع سكورزنى لأنه أرشده إلى مكان موسولينى برسالته الشفرية السابقة ثم اختار ذلك اليوم للتفتيش على معتقل موسولينى فوقع بدوره غنيمة باردة فى يد سكورزنى

ودوى صوت جرس التليفون ساعتها فرد عليه سكورزنى بنفسه وتلقى منه نبأ نجاح قوات المظلات فى الاستيلاء على محطة المصعد الهوائى بالوادى .

ولما كان فى سابق تقدير الجنرال ستودنت أن موسولينى بعد إطلاق سراحه سوف لا يتمكن من التوجه إلى روما بطريق البر لأن قوات بادوليو والملك سوف تغلق الطرق وتعترض موسولينى حتماً ، فقد امر قوات المظلات بالاستيلاء على أقرب مطار من منطقة جراند ساسو وكان هو مطار أكويلا ثم السيطرة على المطار حتى يتم إقلاع الطائرة بموسولينى . وعبر أسلاك التليفون جاءت أيضاً أنباء نجاح قوات المظلات فى الاستيلاء على المطار وبذلك صار الطريق مفتوحاً إلى روما .

وأمر سكورزنى عامل اللاسلكى بطلب طائرة من روما لكى تقل موسولينى ولكن الجهاز اللاسلكى تعطل فجأة فى مطار روما فعجز عن تلقى الإشارة . فلجأ سكورزنى إلى الحل البديل فطلب من أقرب مطار ألمانى أن يرسل إليه طائرة خفيفة لتنزل فى الوادى . . . وجاءت الطائرة ولكن عجلاتها تحطمت وهى تهبط .

ولم يبق أمام سكورزنى سوى حل ثالث كان قد فكر فيه باعتباره آخر الاحتمالات وأبعدها عن المعقول . وكان ذلك الحل هو نزول الكابتن جيرلاخ (قائد طائرة ستودنت الخاصة) على المهبط المثلث الضيق أمام الفندق بطائرة من ذوات المقعد الواحد .

واتصل سكورزنى بجيرلاخ مباشرة بالـلاسلـكى وطلب منه تنفيذ ذلك .

ولم تمض سوى دقائق حتى ظهر جيرلاخ بالطائرة فى الجو . بينما أسرع سكورزنى هو ورجاله بتنظيف أرض المهبط من الصخور المتناثرة بقدر الامكان وبإشارة من سكورزنى نزل جيرلاخ بسلام .

وكان جيرلاخ مستعداً لأى شىء عدا ما راح يطلبه منه سكورزنى ساعتها فقد طلب منه أن يلقى بكل ما كان فى الطائرة من أدوات وأثقال وأن يحمله فيها هو وموسولينى ويقلع بهما !!!

ورفض جيرلاخ ذلك الطلب الجنونى رفضاً باتاً . ولـكن سكورزنى لم ييأس بل أخذه من ذراعه وانتحى به جانباً وقال له « أنت تملك الآن بهذه الطائرة الوسيلة الوحيدة لانقاذ موسولينى من هنا ونحن مهددون الآن بهجوم ساحق من الطليان حتى يستعيدوا موسولينى. وإذا حدث ذلك ... إذا ضاع موسولينى من يدنا ثانية فإننا نـكون بذلك قد أخلفنا بوعدنا للفوهرر ... وماذا يتبقى لنا بعد ذلك سوى أن نلهب رؤوسنا بالرصاص ... ومع ذلك فم تخاف ؟ ألسيت أنه إن تحطمت الطائرة وقتل موسولينى فإننا أنا وأنت سوف نموت معه ولا يبقى بعد ذلك من داع للقلق من مواجهة الفوهرر . »

ونجح ذلك الأسلوب البهلوانى فى اقناع جيرلاخ .

وراح سكورزنى والرجال ومعهم موسولينى نفسه يسوون الأرض تمهيداً لإقلاع الطائرة .

واتخذ جيرلاخ عندئذ مقعده فى الطائرة وانحشر خلفه موسولينى ومن ورائه سكورزنى . وأدار جيرلاخ المحرك بأقصى سرعة بينما كان الرجال يتشبثون بالجناحين حتى لا تفلت الطائرة فجأة وتهوى إلى الوادى . وعندما بلغت سرعة دوران المروحة أقصاها أشار جيرلاخ إلى الرجال فتخلوا عن الجناحين واندفعت الطائرة من المثلث إلى الحافة ثم إلى الجو . وما كادت تنجح فى اعتلاء متن الجو حتى سقط رادل على الأرض مغمى عليه .

وفى المطار بروما كان ستودنت فى استقبالهم رافعا يده بالتحية .

ولم يضع سكورزنى أى وقت بل طلب طائرة أخرى وأقلع بهـــا هو وموسولينى على الفور .

وفوق جبال الالب العالية راح موسولينى يتحدث فى ألما نيته المتعثرة عن أيام اعتقالة بينما كان عقل سكورزنى مشغولا بالرياح العاصفة التى كانت تلعب بالطائرة فوق الجبال كأنها ريشة طائر .

وهبطت الطائرة فى فيينا ، حيث توجه سكورزنى و موسولينى إلى الفندق الامبراطورى . وهناك استقبلهما مدير الفندق فى دهشة واستنكار إذ لم يتعرف فى بادىء الأمر على موسولينى ، ولذا فقد راح يحتج على دخولهما الى الفندق بملابسهما المشعثة وذقونهما الطويلة .

ولكن سكورزنى كان قد حجز غرفتين بالتليفون فى الفندق من مطار روما . ولذا فقد راح مدير الفندق يقودهما إلى غرفتيهما وهو فى غاية السخط .

وانطلق موسولينى الى غرفته وهو يصيح « انى لا أريد شيئا . . . لا أريد شيئا مطلقاً ولا حتى بيجاما ... انى سوف أنام » .

أما سكورزنى فكان مقدراً له ألا ينام لانه ماكاد يصل إلى غرفته حتى دوى جرس التليفون « برلين تتكلم » وكان المتحدث هو هيملر الذى راح يزجى التهانى الى سكورزنى ثم اقترح عليه أن يحضر معه زوجته لتشهد لحظة انتصاره العظيم وتتقبل معه تهنئة الفوهرر .

وما كاد حديث هيملر ينتهى حتى اقتحم الغرفة كولونيل المانى كان يرتدى نيشان « صليب الفرسان » . وضم الكولونيل عقبيه بشدة ورفع يده بالتحية ثم انتزع النيشان من حول عنقه وأحاط به عنق سكورزنى هاتفا « بأمر الفوهور » .

واتصل سكورزنى بزوجته وجاءت الزوجة والفرح يهز أعطافها . وماكاد سكورزنى يقبلها حتى دوى جرس التليفون « الفوهرر على الخط » !!!! ومن الطرف الآخر جاءه صوت هتلر . « ماجور سكورزنى . . . انت رجل من القلائل الذين حصلوا على إعجابى وحبى التامين لقد توجت ألمانيا بنصر عظيم .

ان زعيمك يشكرك ، . وبعد هتلر جاء صوت المارشال جورنج وتلاه كيتل . وراح كبار رجال القيادة الألمانية يتنافسون بعد ذلك على الاتصال به وتهنئته ، بينما كان صوت المذيع فى إذاعة فيينا يردد نبأ إنقاذ موسولينى فى حماس . ومن بعده راحت إذاعات العالم تردد النبأ المثير .

ولم ينم سكورزنى ليلتها .

* * *

الفصل السادس

اخطف بيتان .. اخطف تيتو ..

لقد رفعت تلك المغامرة هتلر إلى السماء السابعة ، فراح يرقص فرحا ، تماما كما فعل عند سقوط فرانسا . فأى مجد حققه له سكورزنى بانقاذ موسولينى ! ! ومن غير هتلر الذى يجازف تلك المجازفة الكبرى لانقاذ صـــديق مفلس كموسولينىأو يرسل بطلا مجهولا فى مهمة خطيرة كما فعل هو ! ! أن الأجيـال القادمة سوف تتحدث عن ذلك المجد طويلا .

ولهذا فقد استقبل سكورزنى فى « عرين الذئب » استقبالا لم يحظ به أحد من قبل ، فراح هتلر يحتضنه ويتشبث به أمام الجنرالات الذين كانوا يصفقون له فى حسد .

أما موسولينى فما كاد يفيق من نومه فى الفندق الامبراطورى ويحلق ذقنه ويرتدى ثياباً نظيفة حتى بدأ بمنح سكورزنى نيشان « الفرسـان المائة » ، وهو أرفع النياشين الايطالية ولا يتجاوز عدد الحاصلين عليه مائة .

وجاء جورنج بقطار خاص ليستقبل موسولينى وبدأ هو بدوره بأن منـح سكورزنى الميدالية الذهبية لسلاح الطيران .

وبعد أيام أقام قصر الرياضة فى برلين حفل تكريم هائل لسكورزنى ومنحه فيه عضوية الشرف .

وانهالت الدعوات عليه ... غـذاء مع مارتن بورمان (نائب هتلر) ، شاى مع ريبنتروب (وزير الخارجية) ، عشـاء مع الدكتور جوبلز (وزير الدعاية) .

وفى « عرين الذئب » دعى سكورزنى الى الاجتماع الخاص الذى كان هتلر يعقده فى كل مساء مع أخلص معاونيه . وفى ذلك الاجتماع راح هتلر يطمئن سكورزنى إلىأنه سيستعيد — بعد انتهاء الحرب — للنمسا كل ما كانت ايطاليا

قد اقتطعته من أراضيها بعد الحرب العالمية الأولى . ثم طلب هتلر من سكورزنى أن يحضر الاجتماع الخاص بعد ذلك فى أى وقت يشاء .

ولكن سكورزنى لم يفكر بعد ذلك فى حضور ذلك الاجتماع .

وقد كان أى رجل طموح (فى مثل موقف سكورزنى) قادراً على أن يحصل على ما يشاء من مناصب وامتيازات . ولكن سكورزنى سرعان ما انتابه الملل من تلك الرسميات التى كانت تحيط به فى كل مكان . وأكثر من ذلك أن المبالغات التى راحت أجهزة الدعاية الألمانية تهتف بها عن مغامرة جراند ساسو ضايقته كثيرا بعكس إذاعات الحلفاء التى كانت تقتصر على ذكر الحقائق بغير تهويل وبعضها كان يتحدث عنه بتقدير وانصاف .

وإذا كان هناك شيء قد راقه من بين تلك المظاهر فكان هو ألف رسالة تلقاها من جنود فى شتى الميادين وكانوا يقولون فى رسائلهم أن مغامرته الناجحة قد بثت فيهم روحا جديدة .

وقبل أن يغادر عرين الذئب عائدا إلى قيادته فى فريدنتال أمره هتلر بالقاء محاضرة عن تكتيكاته الجديدة وعن مغامرة جراند ساسو بالتفصيل ، على مجموعة من الجنرالات الذين جلسوا يستمعون إليه وهم مزمومى الشفاه . ولكن بدا عليهم فى نهاية المحاضرة أنها أصابتهم بالاضطراب اكثر من الارتياح . ففى صباح اليوم التـــالى دعاه قائد قوات الحراسة فى « عرين الذئب » إلى جولة تفتيشية على قوات الحراسة ومواقعها . اذ كان يريد أن يتأكد من عدم وجود ثغرة فى الحراسة تسمح لأى قوة فدائية من الحلفاء باجتياح العرين وقتل هتلر .

واصفر وجه قائد قوات الحراسة عندما أكد له سكوورزنى ضاحكا فى نهاية الجولة أنه مهما فعل ومهما اتخـــذ من احتياطات فان أى شخص « لديه العزم والتصميم والقدرة على الابتكار » قادر على العثور على ثغرة فى الحراسة وبالتالى على اجتياح « عرين الذئب » .

على أن سكورزنى خرج من تلك الفترة بفائدة كبيرة تتمثل فى أنه قد التقى بكبار القاده وصار معهم على قدم المساواة وبالتالى فانهم قد صاروا بدورهم

مقتنعين بأهمية قوات الفدائيين . وأصبحت علاقته معهم من ذلك الوقت علاقة أفضل وصار تعامله معهم أسهل بكثير عن ذى قبل .

وفى البرلمان البريطانى أعلن تشرشل . «إن تلك الضربة التى قام بها سكورزنى بجرأة عظيمة تعد من أعظم الضربات . وهى تكشف عن إمكان تحقيق مثيلات لها فى الحرب الحديثة » .

على أن هتلر كان قد سبق تشرشل إلى نفس الاستنتاج، ولذا فقد راح يتشبث بسكورزنى أملا فى أن يتمكن من إيقاف التيار الشديد الذى كان يجرف ألمانيا على كل الجبهات فى ذلك الوقت .

وقبل أن يأذن له هتلر بمغادرة عرين الذئب أعطاه الجائزة الحقيقية التى كان يرغب فيها من كل قلبه ... إذ خصص له كتيبة من كتائب القوات الخاصة لكل جهة من جبهات القتال ، ووجه ذلك الأمر مباشرة إلى الجنرال يودل الذى أحنى رأسه فى طاعة . وعندما تساءل سكورزنى من أين سيأتى الرجال اللازمين لتلك الكتائب أجاب يودل على الفور « من فرقة براندنبرج بالطبع إننى أستطيع أن أزودك بأربعة آلاف رجل منهم على الفور » .

ولم يتردد سكورزنى فى الموافقة فقد كان يعرف من تاريخ فرقة براندنبرج ما فيه الكفاية . فقد كانت تلك الفرقة مخصصة للرجال الذين يجيدون أكثر من لغة ويتقنون فنوناً وعلوماً متنوعة . وكان منهم على سبيل المثال صديقه أدريان فريهيرفون فولكسرام الذى كان قد سبق له أن طلب النقل إلى القوات الخاصة وعندما التحق بها راح يروى لسكورزنى عجائباً عن فرقة براندنبرج . تلك الفرقة التى عرف رجالها بالجرأة والمهارة والتفنن فى الإبتكار . ولكنها مع الأسف عوملت كمجرد فرقة عادية من فرق الجيش الألمانى وراحت القيادة ترسل بها إلى حيث يحتدم القتال لتقوم بواجبات المعارك العادية وتخسر فيها خاماتها الثمينة من الرجال فى البلقان وعلى الجبهة الروسية .

وعن فولكسرام ذاته فإنه استطاع بمواهبه العديدة أن ينال ثقة سكورزنى منذ اللحظة الأولى ولذا فإنه اختاره ليكون رئيس أركان حربه .

وعاد سكورزنى إلى فريدنتال لكى يبدأ تدريب القوات الخاصة من جديد مستفيداً بدروس مغامرة جراند ساسو .

وراح سكورزنى يطلب ما يشبه المستحيل ... إذ بدأ التدريب مصمما على أن يجعل كل رجل من رجاله قافزاً بالمظلة وسباحاً وغواصاً ومتحدثاً بأكثر من لغة ومخرباً وقادراً على قيادة وإصلاح كل الآلات من الموتوسيكل إلى الطائرة إلى القاطرة .... الخ

ويقول سكورزنى عن تلك الفترة أنه بالرغم من حسن معاملته للرجال فى فريدنتال فإنهم كاد يقتلهم من فرط الإجهاد .

وأرسل سكورزنى يطلب المهمات والأسلحة اللازمة ولكن الأسابيع مضت عليه بغير رد

وأخيراً جاءه الرد من قيادة فرق العاصفة التى كان تابعاً لها حتى ذلك الوقت « نوافق على كل ما يطلبه الماجور سكورزنى . ولكنه ما دام يقود حالياً قوة تساوى فرقة كاملة فإن عليه أن يعتمد على نفسه من الآن فصاعدا للحصول على ما يبغيه من أسلحة ومهمات » .

وصاح رادل غاضباً (عندما وصلت تلك الرسالة) من ذلك المنطق المعكوس ولكنه سرعان ما نسى غضبه حين تنبه إلى القيمة الهائلة لتلك الرسالة ... فقد كانت بطبيعتها إذناً لسكورزنى بأن يفرض طلباته مباشرة على كل مصنع وكل مخزن مهمات وكل ترسانة فى ألمانيا من أقصاها إلى أقصاها . وانطلق الإثنان بعد ذلك فى طريقهما لا يوقفهما شيء . فراح رادل يطلب تعيينات ومهمات كان قد سبق له أن تسلمها فعلا ، وراح سكورزنى يستعير ما كان يملأ مخازناً بأسرها بغير أدنى نية لردها ثانية .

وبهذا بدأ بسرقات صريحة للمهمات والأسلحة ، وثنيا بسرقة الرجال اللازمين من الجيش والطيران والبحرية .

وكان يكفى أن يتلقى سكورزنى طلبا من أحد الرجال بالالتحاق بفريدنتال ، حتى يلحقه على الفور ويكتفى بإخطار وحدته الأصلية بذلك صارفاً النظر تماما بعد ذلك عن احتجاجاتها .

وهكذا حصل على الرجال من كل نوع وصنف . فكان منهم آكلوا النار والزجاج والممثلين والحواة .... الخ .

ومن « عرين الذئب » جـــاءت أوامر هتلر التالية « إخطف المارشال بيتان » .

وكان المارشال بيتان يرأس فى ذلك الوقت حكومة فيشى ويقف متأرجحاً على الحبل بين ألمانيا وبين الحلفاء حتى لم يعد أحد يعلم مع أى الطرفين يقف ، وما الذى يمكن أن يفعله فيما بعد . وكانت تقارير المخابرات تتوالى على هتلر منها تقارير تتهم بيتان بأنه ينوى الانتقال بحكومته إلى شمال أفريقيا ومن هناك يعلن انضمامه إلى الحلفاء. ومنها تقارير كانت تحذر من أن منافس بيتان فى لندن (الجنرال ديجول) ينوى اغتياله أو اختطافه ولذلك فقد رأى هتلر أن يستعد لمواجهة أى من تلك الاحتمالات بالاستيلاء على بيتان ذاته والاحتفاظ به تحت يده .

وعلى ذلك فقد توجه سكورزنى بصحبه فولكسرام إلى باريس لكى يتلقى الأوامر التفصيلية من هناك . وهناك جاءته الأوامر بإعداد قوة ضخمة لمحاصرة فيشى واقتحامها ثم اختطاف بيتان .

وجهز سكورزنى وفولكسرام القوة من عدة آلاف من الجنود الذين وضعتهم القيادة الألمانية تحت قيادة جنرال (لأن سكورزنى كان برتبة صاغ فقط) وكان الموقف غريبا جداً لأن الجنرال كان بدوره (وفى واقع الأمر) تحت قيادة سكورزنى . وقد حل الجنرال تلك المشكلة بأن دخل (وهم فى الطريق إلى فيشى) إلى أحد الفنادق بحجة تناول الغذاء ثم رفض أن يخرج ثانيا .

وترك سكورزنى القوة خارج فيشى ثم تسلل إليها وراح يدرس الطرق والميادين الموصلة إلى قصر الرئاسة . وما لبث أن رسم خطة تتلخص فى التقدم بجنوده فى صورة طابور سير ينتهى ببساطة على باب قصر الرئاسة ومن هناك تقتحم القوة القصر وتأسر بيتان . وذلك كله مع تجنب إطلاق النار . وحتى فى حالة إطلاق الفرنسيين النار كانت أوامر سكورزنى تحتم عدم الرد إلا بإذن خاص منه .

وكانت إشارة بدء العملية هى . « الذئب يعوى » .

وتلقى سكورزنى الإشارة قبل عيد الميلاد بقليل ... وعندما راح يقوم

بالاستعدادات الأخيرة لبدء العملية فى اليوم التالى تلقى أمراً بإلغائها كلها . وكان كل الافتحام الذى قام به هو ورجاله هو اقتحام محطة السكة الحديد لركوب القطار المتجه إلى باريس ! ! !

وعاد إلى فريدنتال ليتلقى الأمر الثانى « عليك باختطاف المارشال تيتو » .

وكان المارشال تيتو يقود فى ذلك الوقت قوات المقاومة اليوغوسلافية ضد الاحتلال الألمانى ببراعة وشجاعة فائقة . وقد استطاع أن يحقق انتصارات هائلة وأن يوقع خسائر ضخمة بقوات الاحتلال ، كما أن تلك المقاومة الشديدة اضطرت القيادة الألمانية إلى الاحتفاظ بقوات كبيرة فى يوغوسلافيا .

وكان هتلر والقيادة الألمانية العليا فى أشد الحاجة إلى التخلص من شوكة المقاومة اليوغوسلافية حتى يتفرغوا للميادين الأخرى .

وطار سكورزنى إلى يوغوسلافيا حيث وجد المخابرات تعيش فى اضطراب عجيب بشأن المارشال تيتو .

وكانت هناك أكثر من ٥ تقارير تحدد ٥ أماكن جبلية مختلفة على اعتبار أن كلا منها هو مقر قيادة تيتو .

وكان الموقف فى يوغوسلافيا أشد غموضا مما رآه سكورزنى فى فيشى أو فى فرنسا . فقد كانت هناك مقاومة يوغوسلافية أخرى بقيادة الجنرال ميخائيلو فتش ولكن ميخائيلو فتش كان يقود الملكيين (الذين كانوا فى نظر اليوغوسلافيين عموما ـ والشيوعيين الذين كان يقودهم تيتو بصفة خاصة ـ ممثلين للنظام الملكى الإقطاعى وكانوا متهمين بالميل إلى الألمان) . وكانت هناك عصابات الشاطناق واليوستاشى التى كانت تقاوم لحسابها الخاص وكانت تنضم ساعة إلى ميخائيلوفتش وساعة إلى تيتو . وكانت القوات الايطالية قد ألقت سلاحها بمجرد إعلان بادوليو عن الانضمام إلى الحلفاء . وراحت قوات المقاومة تستولى على الأسلحة الطليانية وتضاعف بها من قوتها .

ولكن التهديد الحقيقى للاحتلال الألمانى كان كامنا فى تيتو وقواته التى

تجاوزت ١٠٠ ألف مقاتل من أبرع وأشجع الرجال وكانوا يشنون بقيادة تيتو حرب عصابات لاهوادة فيها ويتحكمون فى أقاليم بأسرها ويضربون فى كل وقت وفى كل مكان .

وكان تيتو هو مفتاح تلك المقاومة كلها . بالاضافة إلى أنه جاءت أخبار بأن البريطانيين كانوا يجهزون قوات مظلات كبيرة لإنزالها فى يوغوسلافيا . وعلى ذلك فقد صار من المحتم القبض على تيتو فوراً .

ورأى سكورزنى أنه لن يصل إلى شيء فى وسط تلك الدوامة التى كانت تسود العاصمة (بلجراد) . وعليه فقد قرر أن يقوم بالاستكشاف بنفسه فاصطحب إثنان من ضباط الصف فى عربته المرسيدس وانطلق بها رأساً إلى منطقة آجرام التى كانت — على ما قيل له — هى أقرب المناطق احتمالا لوجود تيتو فيها .. وسار سكورزنى فى طرق كانت تمر بين الحقول المكتظة بالفلاحين الذين كان كل منهم على استعداد لأن يستبدل الفأس بالبندقية فى ثوان ثم يطلق النار عند أقل إشارة . ولكن سكورزنى اعتمد على خدعته المألوفة بالتظاهر بأنه يسير فى مجرد نزهة لا شأن لها بالحرب أو القتال .

ووصلوا أخيراً إلى نقطة ألمانية منعزلة على الجبال فى منطقة فروسكاجورا وعلى مائدة الغذاء أخبره القائد الألمانى بأن المنطقة تعج برجال المقاومة . . . حتى طبيب القرية كان يعمل طبيباً لقوات تيتو .

وعندما وصلوا أخيراً إلى آجرام لم يصدقهم أحد من الألمان حين قالوا أنهم جاءوا من بلغراد . . . فقد كان مرور سيارة ألمانية منفردة فى ذلك الطريق بسلام أمراً لم يكن ليجرؤ عليه أشجع الضباط .

وبعد أربعة أسابيع من البحث الشاق عثر سكورزنى على مخبأ تيتو . وكان المخبأ فى بوزنيا الغربية وفى منطقة دفار بالذات . وكانت توجد هناك أيضاً بعثة سرية بريطانية تتفاوض مع تيتو . أما مقر رئاسة تيتو فكان يقع فى كهف على جانب بعض التلال التى تشرف على جميع الطرق الداخلة إليها .

ورسم سكورزنى خطته على أساس اجتياح مقر القيادة بقوات متنكرة فى زى رجال المقاومة اليوغوسلافية . وأرسل فولكسرام ليخطر قائد المنطقة بتلك الخطة . ولكن القائد أستقبل الخطة ببرود مطلق وقال لفولكسرام أن لديه خططه الخاصة لإقتحام مقر قيادة تيتو والقبض عليه . وتأكيداً لكلام القائد راحت طائرات الإستكشاف تجتاح فى الأيام التالية منطقة دفار .

وأبرق سكورزنى إلى القائد يقول له أن المنطقة كلها صارت تعلم بنيته فى الهجوم على مقر قيادة تيتو الأمر الذى يكون من المؤكد معه أن تيتو بدوره قد صار على علم بذلك الهجوم المنتظر ، وأن النتيجة البديهية لذلك هى أن تيتو سوف يغير مقر قيادته وينتقل به إلى منطقة أخرى وعندئذ سوف يصبح من الصعب أن لم يكن من المستحيل القبض عليه ، وعرض سكورزنى فى برقيته على القائد أن يضع نفسه تحت قيادته حتى يمكنهما العمل سوياً .

ولكن الجنرال لم يستجب لرجاء سكورزنى بل راح يعمل كما لو كان سكورزنى منافساً له ، فأستدعى قوات ضخمة فى فرق المظلات وقاذفات القنابل وراح يهاجم بها منطقة دفار فى عملية حربية كاملة . وبديهى أن تلك العملية فشلت فى تحقيق غرضها إذ أفلت تيتو من أيدى تلك القوات ببساطة . . وكل ما استطاعت تلك القوات أن تستولى عليه كان هو رداء تيتو الرسمى المحلى بالنجوم الذهبية . ولكن قوات تيتو لم تغادر المنطقة قبل أن كبدت الألمان خسائراً ضخمة .

وجاءت الأنباء بعد ذلك بأن تيتو قد انتقل إلى جزيرة فيز فى البحر الادرياتيكى . وأراد سكورزنى أن يهاجم الجزيرة على الفور . ولكنه كان غارقا إلى أذنيه فى مهمة جديدة .

وكانت تلك المهمة خاصة بالأسلحة السرية الجديدة . فما كادت مهمة اختطاف تيتو تنتهى إلى ذلك الفشل الذريع حتى جاءت الأوامر إلى سكورزنى بتركيز جهوده فى دراسة وأبتكار تلك الأسلحة السرية .

وكان من أهمها سلاح الضفادع البشريه الذى صارت له أهمية كبرى منذ نجح رجال الضفادع الطليان فى التسلل إلى ميناء الاسكندرية وتفجير قاع البارجة « كوين اليزابيث » والبارجة « فاليانت » ، الأمر الذى عطل الباخرتين عن الخدمة وشل حركة الأسطول البريطانى فى البحر الأبيض لشهور عديدة .

وراح سكورزنى يعمل بنشاط مع قائد الفدائيين البحريين الطليان (البرنس فاليريو بورجيزى) الذى كان قد أنضم إلى الحكومة الجديدة التى شكلها موسولينى فى شمال إيطاليا . وكان من الابتكارات التى قدمها سكورزنى قارب طوربيد صغير يندفع نحو سفن العدو وقبل أن يصطدم بها مباشرة يقذف بركابه بعيداً إلى الماء .

وكان هناك المئات من البحارة الألمان الذين ضجوا من طول المعيشة على البر (وذلك بسبب تفوق بحرية الحلفاء مما جعل الأسطول الالمانى يقضى وقته كله فى الموانى) وراحوا يعرضون أنفسهم للتطوع فى قوات الفدائيين البحرية التى كانت تحت قيادة الأدميرال هاى . وكان هاى بدوره منضما إلى سكورزنى وبورجيزى فى أبحاثهما .

وكان النيجر «NIGGER» من أبدع الأسلحة التى عمل الثلاثة على ابتكارها. وهو عبارة عن طوربيد خال من المتفجرات ومزود بمقعد لراكب واحد ومن فوقه غطاء من البلاستيك، ومن تحت الطوربيد طوربيد آخر حى" يرتبط به بمفصلات سهلة الحركة . وبذلك السلاح ينطلق الفدائى تحت الماء نحو السفينة المعادية وعندما يقترب منها على مسافة مناسبة يطلق الطوربيد السفلى ثم يستدير هاربا بالطوربيد العلوى .

وقد استطاع ذلك السلاح الجهنمى أن يقصم ظهر الأسطول البريطانى ـ الأمريكى الذى كان يرابط فى ميناء أنزيو (جنوبى روما) فقد أرسل سكورزنى أسطولا صغيراً مكوناً من ٢٠ نجر إلى انزيو . وقام الأسطول بمهمته فأغرق طرادة وأعطب أخرى ودمر ماحمولته ستة آلاف طن من السفن التجارية وكل ذلك بخسارة سته رجال فقط . واحتضنت القيادة العليا الألمانية ذلك السلاح على

الفور ... وراحت أساطيل النيجر تجتاح البحر الأبيض المتوسط وبحر الشمال والمانش . وعندما تنبه الحلفاء إلى أن الغطاء البلاستيك الشفاف يكشف عن النيجر عند اقترابه سارع سكورزنى بوضع تكتيك جديد وذلك بإطلاق غطاء شفاف من البلاستيك فى الماء على أحد جوانب العدو وعندما تتركز نيران البنادق والمدافع عليه ينطلق النيجر الحقيقى من الجانب الآخر ويقوم بمهمته .

وقد كان هذا السلاح سلاحاً فعالا فى المفاجأة فوق أنه كان قابلا للتحوير وللتعديل كلما عرف العدو عنه شيئاً .

وظهرت فى الجو علامات على اقتراب غزو الحلفاء لأوروبا . فراح سكورزنى يعمل فى نشاط محموم استعداداً لذلك اليوم .

ومن الخرائط فقط استطاع سكورزنى أن يحدد الاماكن المنتظرة لنزول الحلفاء وكان تقديره صائبا إذ اختار الحلفاء نقط نزولهم فعلا من بين النقط العشر التى حددها هو . ولكنه عجز عن أن يفهم معنى تلك الأعمدة الهائلة التى ظهرت فى الصور الجوية التى كانت طائرات الاستكشاف تأخذها فوق الموانى الانجليزية ... وقد كانت تلك الأعمدة هى هياكل الموانى الصناعية التى أقامها الحلفاء على شواطىء فرنسا بعد الغزو واستفادوا منها فائدة هائلة فى انزال القوات والأسلحة بأمان .

وراح سكورزنى يقترح أساليبا جديدة لاستقبال قوات الغزو . مثل اطلاق الفدائيين البحريين على قوات الغزو وهى ما تزال فى الماء ، ومثل طائرات مشحونة بالمتفجرات تطير بدون طيارين وتصطدم بسفن الغزو بالتوجيه اللاسلكى ، ومثل دفن المتفجرات بكميات هائلة على الشواطىء لكى تنفجر تحت أقدام الغزاة .

ولكن سكورزنى كان يضرب رأسه فى المحيط اذ لم تأبه القيادة الالمانية مثقال ذرة بخططه وخيبت آماله بالرد الآتى . « لقد قرر الفوهرر أن حائط الاطلنطى غير قابل للاختراق ، وعليه فان مجرد محاولة وضع خطط الماجور سكورزنى تحت التنفيذ أمام أعين القوات الألمانية المرابطة على السواحل جدير بهز ثقة تلك القوات فى فاعلية دفاعات حائط الاطلنطى وبالتالى التأثير فى روحهم المعنوية ومن ثم فانه يتحتم رفض جميع اقتراحات الماجور سكورزنى » .

وكانت النتيجة هى أن الغزو قوبل بقوات عادية واستطاع الحلفاء أن يحطموا أسطورة حائط الاطلنطى وأن يتقدموا بسهولة إلى باريس .

ومع ذلك فقد كان سكورزنى ورجاله يعيشون وقتها فى فريدنتال على ظنون حسنة بأن القادة الألمان مايزالون يحتفظون فى جعبتهم ببعض الأوراق الرابحة .

الفصل السابع

مأساة فالكيرى

ان الأحداث التى تتالت فى يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٤ تعد من أعجب الأحداث التى عاشها سكورزنى . وهو لا يزال يتذكرها كما لو كانت مأساة من إخراج مخرج عبقرى .

ففى ظهر ذلك اليوم (الذى جاء بعد ستة أسابيع من نزول الحلفاء فى نورماندى) كانت هناك مجموعة من كبار ضباط أركان الحرب تنتظر اخبارا هامة . ولم يكن هؤلاء الضباط ينتظرون أخبارا من الجبهة وانما كانوا ينتظرونها من الداخل ، من ألمانيا ذاتها .

وكانوا مجتمعين فى وزارة الحرب بمكتب الجنرال أولبريخت رئيس أركان حرب الجيش الوطنى .

وكانت أعصابهم جميعا متوترة وأعينهم مركزة على جهاز التليفون . . . فقد كانت الدقة المنتظرة منه تعنى اشارة ابتداء الثورة .

وبعد ساعات من الانتظار الطويل دق جرس التليفون أخيراً فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر . ورفع أولبريخت السماعة ليلتقط كلمة واحدة « فالكيرى » ورددها أولبريخت فأنتفض الضباط واقفين . . وفى خلال دقائق راحت الكلمة الكودية « فالكيرى » تطير عبر اسلاك التليفون إلى القيادات فى كل مكان فى أوروبا . . . فى برلين فى باريس فى فيينا فى ميونيخ فى بروكسل . وفى كل مكان راح القادة يفتحون مظروفات كان مكتوبا عليها الكود « فالكيرى » .

وكانت العملية « فالكيرى » . (التى دبرتها مجموعة من كبار القادة وضباط أركان الحرب) تعنى القيام بانقلاب ضد حكومة هتلر ونقل السلطة إلى يد حكومة تقوم على الفور بمفاوضة الحلفاء فى الصلح ولو على أساس التسليم .

وقبل كل ذلك كانت « فالكيرى » التى تلقاها أولبريخت فى التليفون تعنى أن العقبة الكبرى قد زالت وأن هتلر قد مات .

وكان سكورزنى فى ذلك الوقت يركب القطار هو ورادل فى طريقهما إلى فيينا فى مأمورية عاجلة . وكان سكورزنى فى قمة السعادة لأنه كان سيرى أسرته فى فيينا وكان يتطلع إلى قضاء وقت بهيج هناك حيث تكون فيينا فى أبهى أثوابها عند منتصف الصيف .

وسمع سكورزنى ورادل اشاعات كانت تتردد فى المحطة عن موت هتلر ولكنهما لم يلقيا بالا اليها .

وتحرك القطار بهما وراح ينهب الأرض . ولكن القطار وقف فجأة فى إحدى محطات الضواحى (ببرلين) وانبعث من مكبر الصوت فى المحطة نداء . . « الميجور سكورزنى . . الميجور سكورزنى » ، وأعقب ذلك ظهور ملازم عند النافذة . وأدى الملازم التحية لسكورزنى ثم أنبأه بأنه مطلوب على الفور فى مقر قيادة قوات العاصفة ثم أخبره فى كلمات لاهثة بأنه قد حدثت محاولة لقتل هتلر .

ولم يعر سكورزنى كبير اهتمام لموضوع استدعائه مادام هتلر لم يقتل فعلا ولذلك فقد نزل من القطار وحده وأمر رادل بالاستمرار فى الرحلة على أن يلحق به فى القطار التالى .

وتوجه سكورزنى مع الملازم إلى مقر قيادة قوات العاصفة . وفى الطريق أخبره الملازم بأن هتلر قد جرح وأن هناك قوات كثيرة تتحرك فى العاصمة وأن مئات الاشارات والأوامر المتعارضة تنهال على كل مكان من كل مكان ! ! ! وأن أحداً لا يعرف من هو المسئول عن الامور الآن ، وأنه من المنتظر أن يحدث صدام بين الجيش وقوات العاصفة . وعلى باب القيادة استقبلهما جمع من الكتبة العسكريين وفى أيديهم المدافع الرشاشة فقد كلفهم انسان ما بحراسة الباب وعلى الفور جمعهم سكورزنى ووضعهم فى أحد العنابر بعد أن عين ضابط صف لقيادتهم وتعليمهم كيفية استخدام الرشاش . وفى الدور العلوى التقى بالبريجادير والترشيلنبرج الذى صاح به وهو يلوح بمسدس كبير « لو جاء الثوار للقبض على

فإنى مستعد للقائهم » . وسأله سكورزنى عن معلوماته فأجاب شيلنبرج بأنه لا يعرف إلا القليل . . لقد أعلن بعضهم أن هتلر قد قتل وأعلن البعض الآخر أن ذلك غير صحيح وكان اعلان قتل هتلر قد جاء من مقر قيادة أولبريخت أما التكذيب فجاء من مقر القيادة العليا بعرين الذئب . وكانت هناك اشاعات عن اصطدامات فى برلين وعن تحرك بعض القوات هنا وهناك وهذا هو كل شيء.

واتصل سكورزنى على الفور بفولكسرام وأمره باعلان الطوارىء فى فريدنتال وبالتحرك بقوة كبيرة إلى مقر قيادة قوات العاصفة ليحرس بها مقر القيادة . ثم خرج بعد ذلك إلى الشوارع ليستكشف ما يجرى بنفسه .

وبعد جولة قصيرة لم يشاهد فيها ما يريب اتجه رأسا إلى مقر القيادة العليا فى برلين حيث كان مكتب اولبريخت الذى كان أول من أذاع نبأ مقتل هتلر . وقرب مقر القيادة وجد الطريق مغلقا بالدبابات . ولم يفكر لحظة واحدة فى الوقوف بل راح يمر من بين الدبابات فى هدوء وبساطة كما لو كان قدومه متوقعا وقد تركه رجال الدبابات يمر على ذلك الاعتبار بعد أن أدوا له التحية .

وفى مقر القيادة التقى أول ما ألتقى بالجنرال بول برينكر الذى كان فى حيرة تامة لأنه كان قد تلقى أوامر من وزارة الحربية بدخول برلين بقواته المدرعة ففعل ذلك ثم تلقى أوامر بحراسة مقر قوات العاصفة خوفا من قيام ثورة هناك ثم تلقى أمرا آخر بالغاء ذلك . وقال برينكر انه يفضل أن تلقى أوامره من رئيسه المباشر الجنرال جودريان ولكن جودريان لم يكن هناك .

ورأى سكورزنى أن ظهور الدبابات حول مقر قيادة قوات العاصفة قد يؤدى إلى تبادل اطلاق النار مع قوات الحراسة فاقترح على برينكر أن يلغى تحرك الدبابات الى هناك مؤكدا أنه كان هناك وأنه لا أثر لأى ثورة أو تمرد . وقبل برينكر الاقتراح فى ارتياح كبير .

وأسرع سكورزنى على أثر ذلك الى مقر قيادة قوات المظلات وحذر الضباط هناك من التحرك بدون أوامر مباشرة من قائدهم الجنرال ستودنت (والقراء يذكرون أن ستودنت كان شريكا لسكورزنى فى عملية انقاذ موسولينى) . ثم

أسرع إلى منزل ستودنت حيث وجده يقرأ فى هدوء فى الشرفة وزوجته بجواره تنسج صديريا بالابر !!!! وكان ستودنت لا يعرف شيئا مطلقا عن المؤامرة ولذلك فقد دهش من الانباء التى راح سكورزنى يسوقها اليه وقال له « ياعزيزى سكورزنى لابد أنك تحلم » .

وهكذا كان قائد أحدث سلاح فى ألمانيا يرفض أن يصدق كل ما يتعارض مع النظام والروتين !! . ولذلك فقد رفض أيضاً أن يصدر الأوامر إلى قواته فى جميع أنحاء أوروبا بعدم إطاعة أى تعليمات تصلهم عن غير طريقه .

وأخيرا وبعد جدال طويل قبل أن يصدر تلك الأوامر . وفى نفس تلك اللحظة دق جرس التليفون وكان المتحدث هو جورنج (من « عرين الذئب ») . وراح جورنج يبلغ ستودنت باخبار المؤامرة وبنجاة هتلر من الموت ثم أمره بتبليغ جميع القوات بعدم اطاعة أى أوامر تصدر من وزارة الحرب لأن المؤامرة جاءت منها وإنما تطاع أوامر القيادة العليا فقط . وختم جورنج حديثه صائحا « الهدوء . . . الهدوء هو أهم شيء والا اشتعلت الحرب الأهلية » .

وترك سكورزنى ستودنت وهو يصدر أوامره بالتليفون وعاد إلى قيادة قوات العاصفة وهناك وجد شيلنبرج وهو مصفر الوجه بسبب أمر خطير كان قد تلقاه لتوه من هيملر « اقبض على الادميرال كناريس » . وطلب شيلنبرج فصيلة كاملة من القوات الخاصة (التى كانت قد وصلت لتوها بقيادة فولكسرام) ليستعين بها فى القبض على كناريس . ولكن سكورزنى رفض أن يعين الفصيلة معه وقال له أن كل الحراسة الموجودة على منزل كناريس (الذى كان قد أعفى من منصبه فى قيادة المخابرات منذ شهور) لا تتجاوز بضع كلاب ، وأنه يكفى أن يتوجه شيلنبرج ومعه ضابط واحد للقبض على كناريس .

ورأى سكورزنى عندئذ أنه قد صار فى امكانه أن يلحق برادل فى فيينا . وما كاد يتحرك ليغادر المكان حتى جاءه من يطلبه إلى التليفون « هتلر يأمر الميجور — ورزنى بتوجيه كل قواته لمحاصرة وزارة الحرب بالاشتراك مع ميجور ريمر (الذى كان يتولى قيادة أكبر كتيبة فى قوات حرس برلين) » .

وتحرك سكورزنى بقواته لتنفيذ الأمر والتقى خارج مبنى الوزارة بالميجور ريمر الذى كان قد أتم محاصرة المبنى بقواته .

وكان الميجور ريمر قد وقع فريسة لأوامر وزارة الحرب فى أول الأمر ، وذلك حين تلقى منها أمرا باحتلال دار المستشارية والقبض على زعماء حزب النازى . وتحرك ريمر فعلا لتنفيذ تلك الأوامر وكان الدكتور جوبلز من بين من قبض عليهم . ولكن جوبلز استطاع أن يقنعه بالاتصال تليفونيا بعرين الذئب . ومن هناك رد عليه هتلر بذاته وأمر باطلاق سراح جوبلز والزعماء وسأله من أين تلقى تلك الأوامر وحين علم أنها جاءت من وزارة الحرب تبين على الفور أنها هى مصدر المؤامرة كلها فأمره بمحاصرتها على الفور .

وبينما كان سكورزنى وريمر آخذان فى ذلك الحديث إذ بالجنرال فروم قائد قوات الجيش الوطنى يخرج من باب الوزارة بعربته وهو يهتف بضباط كانوا قادمين وراءه « انى ذاهب إلى منزلى . . . يمكنكم الاتصال بى هناك » وقرر ريمر وسكورزنى على الأثر ألا يسمحا لأى ضابط آخر مهما كانت رتبته بمغادرة الوزارة .

وترك سكورزنى قواته فى فناء الوزارة ثم دخل ومعه فولكسرام وضابط آخر . وفاجأتهم هناك مجموعة من الضباط وبأيديهم المدافع الرشاشة . ولكن مظهر سكورزنى الهادىء وعدم وجود أى سلاح فى يده طمأن هؤلاء الضباط فخفضوا أسلحتهم وراحوا يتساءلون عما يريد . وأخبرهم سكورزنى بمهمته ثم راح يسألهم عن الأخبار . وأبلغوه بالاخبار وكانت أخبارا مروعة حقا عن حوادث قتل وانتحار واعدام تمت فى الوزارة فى نفس اليوم . وراح سكورزنى ينتقل من غرفة لأخرى وفى كل حجرة كان دخوله يدفع جمعا جديدا من الضباط الى الانتفاض واقفين وفى أيديهم المسدسات أو المدافع الرشاشة وكانوا كلهم من ضباط المكاتب الذين لم تتعود أيديهم على امساك السلاح وكان كارل رادل يسميهم « أعداؤنا الحقيقيين » لأن كل واجباتهم كانت تتلخص — فى نظره — فى رفض طلبات ضباط التشكيلات وعرقلة جهودهم .

وكانت الوزارة كلها فى حالة شلل تام ... التليفونات تدق فلا يرد عليها أحد وأجهزة التيكر (آلات الاخبار الكاتبة) تكتب عشرات الرسائل وما من أحد يقرأها أو يفكر فى الرد عليها .

وأزعجت تلك الحال سكورزنى ، لأنه قدر أن تلك المكالمات والرسائل القادمة من كل الجهات لابد تحتوى على مطالب عاجلة من الإمدادات ، وأن إهمال الرد عليها يعنى تعطل وصول تلك الإمدادات مما قد يؤثر فى سير المعارك الدائرة . وشرح سكورزنى وجهة نظره لبعض الضباط الذين كان يعرفهم من قبل وأقر هؤلاء بأنه على حق ولكن ماذا يمكنهم أن يفعلوا ؟؟ !!! فقد عجزوا عن الاتصال بمقر قيادة هتلر «عرين الذئب» كما أن الخطوط الموصلة إلى مقر القيادة العليا فى برلين كانت معطلة .

واقترح عليهم سكورزنى أن يعودوا إلى مكاتبهم ويستأنفوا أعمالهم العادية ، وأطاعوه على الفور وفى دقائق عادت الحياة إلى المكاتب وبدأت روح الواجب تسيطر على الجميع .

وفى جو الاطمئنان الذى بدأ يسود الوزارة استطاع سكورزنى أن يحصل على القصة كلها .

وكان مركز المؤامرة كلها هو الكونت فون ستوفنبرج الذى كان ساعد الجنرال أولبريخت الأيمن . وكان ستوفنبرج قد حارب مع روميل فى الصحراء الغربية حيث حصل على رتبة كولونيل وفقد ذراعه الأيمن وأصبعين من يده اليسرى واحدى عينيه فى المعارك هناك .

وقد اختاره المتآمرون على هتلر ليقوم بمهمة إغتياله وعينوه لذلك الغرض كضابط اتصال مع «عرين الذئب» وقبل وصول سكورزنى إلى وزارة الحرب بقليل كان هتلر قد أذاع فى الراديو حديثاً ملتهباً أعلن فيه أنه حى وأنه نجا من مؤامرة دبرتها (مجموعة صغيرة من الضباط الخونة وأنه ليس لتلك المؤامرة أى صلة بالقوات المسلحة فى مجموعها .

ولكن الضباط (الذين استمعوا لإذاعة هتلر) كانوا يعلمون أنه لا يمكن يكون تعيين ستوفنبرج كضابط اتصال قد حدث من قبيل الصدفة وإنما عينه القادة المسؤولون فى وزارة الحرب فى ذلك العمل لكى يتمكن من وضع قنبلة زمنية فى مقر هتلر (لأن ستوفنبرج كان عاجزاً عن استخدام المسدس بحكم عاهاته الكثيرة) .

وكان هناك الكثيرون من كل نوع ومهنة بين المتآمرين ولكن أظهر قادتها كانوا هم مجموعة من الجنرالات الذين كان بعضهم يريد كسب الحرب بدون هتلر وبعضهم يريد التسليم إلى الحلفاء وبعضهم يميل إلى موسكو .

وفى صباح يوم ٢٠ يوليو تحرك فون ستوفنبرج إلى « عرين الذئب » لكى يحضر مؤتمراً هناك برئاسة هتلر . وفى قاعة الاجتماعات هناك ترك ستوفنبرج حقيبة أوراقه وبداخلها قنبلة زمنية شديدة الانفجار ثم انسحب بحجة أنه سيتحدث فى التليفون . وبعد دقائق شاهد (وهو خارج المبنى) انفجار القنبلة فأسرع عائداً إلى برلين وفى الطريق توقف دقيقة واحدة ليرسل بالتليفون إشارة النجاح « فالكيرى » .

وسأل سكورزنى عن مكتب ستوفنبرج فأرشدوه إليه . وراح يفتش المكتب فوجد فيه خطه الانقلاب الكاملة بداخل دوسيه مكتوب عليه « خطة الدفاع عن برلين ضد الغارات الجوية » وبتلك الحيلة البسيطة كان ستوفنبرج يحتفظ بتلك الخطة الخطيرة فى مكتبه مطمئنا إلى أن أحدا لن يفكر فى الاطلاع على موضوع معروف تماما من جميع الضباط كموضوع « الدفاع عن برلين ضد الغارات الجوية » . وراح سكورزنى يقرأ الخطة فى إعجاب بالعقول التى رسمتها فقد كانت خطة جهنمية بارعة تبدأ بتوزيع الأوامر اللازمة للانقلاب على جميع القيادات داخل مظروفات مكتوب عليها « لا تفتح إلا بعد صدور الاشارة الكودية « فالكيرى » وبذلك ضمن المتآمرون سيطرتهم التامة على جميع الوحدات بمجرد إتمام الخطوة الأولى وهى اغتيال هتلر . ولم يكن المتآمرون أغبياء حين ضمنوا تلك الخطابات خطتهم وعرضـــوا بذلك مؤامرتهم إلى

الانكشاف عند فتح أى خطاب قبل الموعد ولو بطريق الخطأ فقد كانو يعتمدون — وبحق — على روح النظام العميقة فى الجيش الألمانى .

وكانت الخطة تشتمل على أسماء رجال حكومة الانقلاب. الجنرال لودويج بيك رئيسا للحكومة والفيلدمارشال فون ويتزليبن قائدا عاما للقوات المسلحة والجنرال أولبريخت وزيراً للحرب . وكانت مشكلة المتآمرين الكبرى كامنة فى شخصية القائد العام الجنرال فروم الذى كان ثعلبا يمكن أن يتحول ضدهم فى أى لحظة بدون سابق إنذار وان كان قد رضى بالانضمام إليهم من قبل .

وعندما تلقى المتآمرون إشارة « فالكيرى » من ستوفنبرج تقدموا وعلى رأسهم الجنرالين بيك وألبريخت إلى مكتب فروم وقالوا له أن هتلر قد مات وأنه يمكنه أن يتقدم صفوفهم كمنقذ للوطن .

ولم يرفض فروم طلبهم ولكنه استمهلهم حتى يتأكد من موت هتلر ورفع سماعة التليفون وطلب « عرين الذئب » وبين نظرات الذعر من المتآمرين رد جورنج ذاته على فروم . فقد نسى أحد المتآمرين (وكان هو قائد وحدة الاشارة فى مقر القيادة العليا ببرلين) أن يقطع الخطوط بين برلين و « عرين الذئب » . ومن جورنج عرف فروم أن هتلر حى وأنه نجا من تلك القنبلة التى قتلت وجرحت أكثر من ٢٤ شخصا . ووضع فروم السماعة والتفت إلى المتآمرين فى نفس اللحظة التى دخل فيها فون ستوفنبرج وهو يصيح « لقد مات هتلر » . . . لقد قتلته » . وعندئذ وجه فروم حديثه إلى المتآمرين وقال « أيها السادة أن هتلر لم يمت . . . اننى أقبض عليكم جميعا » .

وكان المنطق يقضى على المتآمرين ساعتها بقتل فروم على الفور ولكنهم اكتفوا بإغلاق المكتب عليه بعد قطع سلك التليفون ثم راحوا يطلبون الجنرال هوبنر (وكان معهم) أن يتسلم منصب القائد العام . ولكن هوبنر رفض استلام ذلك المنصب إلا بناءا ! على أمر كتابى ! ! ! وكانت تلك هى نكتة اليوم . . . متآمر يطلب أمرا كتابياً بالثورة ! ! .

وكان المتآمرون قد غفلوا عن أنه يوجد فى الغرفة الملحقة بمكتب فروم خط

تليفونى آخر . وعن طريق ذلك الخط استطاع فروم أن يأمر حرس وزارة الحرب بالقبض عليهم جميعاً . ثم راح فروم يقوم بعد ذلك بانقلاب مضاد عليهم لحسابه الخاص . فعقد مجلسا عسكريا عاجلا وحاكم المتآمرين وأصدر أحكام الإعدام عليهم ثم نفذ الأحكام على الفور وذلك قبل أن تتاح لهم الفرصة ليكشفوا عن سابق انضمامه إليهم .

وروى الضباط الذين شاهدوا تلك المأساة لسكورزنى كيف أقتيد فون ستوفنبرج والجنرال أولبريخت وضابط آخر إلى فناء الوزارة حيث أطلقت عليهم فصيلة الإعدام النار تحت ضوء سيارة مدرعة ، ثم جاء بعد ذلك صوت طلقات من مكتب القائد العام الجنرال بيك ، الذى فشل فى قتل نفسه مرتين (بعد أن منحه فروم شرف الانتحار) ، وعندئذ تقدم ضابط (بأمر فروم) وأجهز عليه بعدة طلقات من مسدسه ، أما الجنرال هوبنر فتمسك كعادته بالنظام حين رفض أن يقتل نفسه بيده ولذلك فقد قتل هو أيضا بأمر فروم .

وغسل فروم يديه من تلك الدماء التى سفكها ثم غادر الوزارة فى نفس اللحظة التى وصل فيها سكورزنى . (وقد أعدم فروم بعد ذلك) . وجاءت الأوامر تترى من عرين الذئب « على جميع الوحدات إلغاء خطة « فالكيرى » واستئناف الأعمال العادية . على قوات برلين أن تحاصر وزارة الحرب وتعزلها تماما » .

وبمغادرة فروم للوزارة فقد كل الضباط مرجعهم الوحيد الذى كان العمل فى الوزارة يرتكز عليه وجاء كولونيل مضطرب إلى سكورزنى وراح يستشيره فى ما يفعل عموما وكيف يتصرف بصفة خاصة فى إشارة وردت من الجبهة الشرقية بطلب إمدادات عاجلة ... إذ لم يكن القائد العام (الذى كانت موافقته ضرورية لإرسال تلك الإمدادات) موجوداً .

وعلى الفور أجاب سكورزنى « إننى سأوقع بدلا من القائد العام » وتناول الإشارة ووقع عليها بالموافقة . فقد كان يفكر فى زملائه بالجبهة ويشعر بمدى حاجاتهم إلى الإمدادات . وقبل الكولونيل توقيع سكورزنى ونفذ الإشارة .

وجاءت إشارة أخرى وكانت موجهة إلى فون ستوفنبرج الذى كان جسده ملقى

ساعتها فى الفناء بغير حياة . ثم إشارة أخرى كانت موافقة الجنرال أولبريخت لازمة لتنفيذها . ولم يتردد سكورزنى فى التوقيع بدلا عنهم جميعا . فقد كان الكل يتهربون من المسئولية المحتملة عن توقيع تلك الأوامر والاشارات ولكن سكورزنى أغمض عينيه عن المسئولية . فقد كان يرى أنه ـ بصرف النظر عن النتائج التى كان من المحتمل أن يواجهها — يستطيع أن يضمن بتلك الطريقة تحرك الإمدادات والذخائر إلى جهات القتال .

وراح فى خلال كل ذلك يحاول الاتصال بالقيادة العامة وبعرين الذئب ، ولكن الخطوط كانت معطلة . إلى أن استطاع فى النهاية أن يتصل بعرين الذئب ويطلب إبلاغ الموقف إلى هتلر . وتلقى الرد . استمر فى إدارة العمل حتى تصلك أوامر أخرى . ولم تصل تلك الأوامر حتى يوم ٢٢ يوليو وبذلك قضى سكورزنى ٣٦ ساعة وهو القائد العام للقوات الألمانية المسلحة .

وجاء هيملر أخيراً وتسلم منه القيادة بنفسه .

واتجه سكورزنى إلى مقر قيادته فى فريدنتال حيث استلقى على سريره ونام لمدة عشر ساعات متتالية بعد أن كان قد قضى المدة الماضية كلها بغير نوم أو راحة أو طعام .

وعندما استيقظ من نومه كانت أول فكرة خطرت على باله هى أنه (وقد كان المسيطر الوحيد على وزارة الحرب وبالتالى على القوات الألمانية المسلحة كلها لمدة ٣٦ ساعة كاملة) كان يستطيع ، لو أنه كان واحدا من آلاف المنضمين إلى المؤامرة) أن يقلب الدنيا رأسا على عقب وكان يستطيع أن يشل العمل على الجبهات كلها وأن يتيح الفرصة للحلفاء لكى يدخلوا ألمانيا بدون طلقة واحدة . وراح ساعتها يعجب كيف أضاع الحلفاء فرصة القيام بهجوم شامل بمجرد علمهم بالمؤامرة فقد كانت القوات يومها فى حالة اضطراب وفوضى شاملة . وكان كل مافى يد هتلر يومها لا يتجاوز قوة حراسة من ٣٠٠٠ جندى وفوقها كتيبتين من كتائب سكورزنى ثم قوات مدرسة تدريب المدرعات وبعض فصائل مبعثرة هنا وهناك .

على أن تلك الدروس أفادت سكورزنى فى تأييد نظريته القائلة بأنه فى وقت

الاضطراب يمكن لأى إنسان أن يفعل ما يشاء لو أسرع فى انتهاز الفرصة.

وكان تأثير تلك الأحداث على هتلر شديدا . فعندما رآه سكورزنى بعدذلك بدا كما لو أنه تقدم فى العمر وكانت يداه ترتعشان بحيث كان يضمهما إلى بعضهما ليوقف رعشتهما ، وعاد لا يثق بأحد مهما كان . وكانت حاشية هتلرقد حذرت سكورزنى قبل تلك المقابلة من أى جدال أو مناقشة لوجهات نظر هتلر لأنه كان يعتبر كل من يفعل ذلك خائنا .

وكانت بذرة الشك التى بذرتها تلك المؤامرة فى رأس هتلر هى أخطر مرض يمكن أن يصيب حاكما مثله فى وقت الحرب .

الفصل الثامن

إخطف هورتى

فى خريف سنة ١٩٤٤ كانت أوروبا تهتز تحت وطأة أقدام الحلفاء الذين كانوا يقتربون بسرعة من نهر الراين ومن بروسيا الشرقية ويستعدون للاقتحام النهائى فى قلب ألمانيا ، وكانت المدن الألمانية قد أصبحت أطلالا بسبب الغارات الجوية وكذلك صار معظم المصانع محطما . وكانت أساطيل القاذفات تتوالى على الحلفاء من مصانع أمريكا مضيفة بذلك سيلا جديداً من الغارات الجوية التى كانت تتم بالليل وبالنهار على السواء . وصار من الواضح أن الحرب سوف تنتهى فى الشتاء .

وأصبح السؤال الذى يدور على الألسنة هو « من الذى سيصل إلى برلين أولا ؟ الروس ؟ أم الإنجليز والأمريكان ؟ » . وكان من الواضح لكل ذى عينين أن تلك النهاية قد تأخرت سنة كاملة عن موعدها الطبيعى ، فقد كان من المفروض أن تنهار ألمانيا وتستسلم على أثر هزائمها الشديدة فى الجبهة الروسية وفى الصحراء الغربية وفى شمال أفريقيا وفى إيطاليا . وكان سبب التأخير هو تلك السياسة الجديدة التى أعتنقها هتلر ... سياسة التشبث بحلفائه وهم فى حالة الضعف والانهيار وكانت الظاهرة الأولى على نجاح تلك السياسة هى ماحدث على أثر إنقاذ موسولينى الذى استطاع أن يشكل حكومة جديدة وأن يسيطر على شمال إيطاليا مما أطال أمد الحرب هناك أكثر من سنة .

وكان سكورزنى هو الورقة الرابحة فى سياسة هتلر الجديدة . وفى ١٠ سبتمبر تلقى سكورزنى أمراً بالوجه إلى « عرين الذئب » ، وقال له الجنرال يودل وهو يبلغه ذلك الأمر أنه سوف يحضر هناك دراسة استراتيجية عالية وذلك تمهيداً لقيامه بعملية كان هتلر يعلق عليها أملا كبيراً .

وكان الموقف يومئذ حالك السواد فى الجبهة الغربية وكان أشد سوادا فى الجبهة

الشرقية إذ استطاع الروس أن يقطعوا ٤٠٠ ميل فى خلال شهر واحد وبذلك صار عرين الذئب على مسيرة ساعة من مرمى المدافع الروسية ، وفى الشمال كانت فنلندا قد سقطت فى أيدى الروس وراحت دويلات البلطيق تتهاوى بدورها فى أيديهم واحدة أثر الأخرى .

وفى الجنوب كانت الجيوش الروسية قدقذفت بالألمان إلى الخلف مسافة ألف ميل وسقطت رومانيا فى أيديهم بحقول بترولها الثمينة ، وكانت لمغاريا على وشك السقوط ؛ وكانت قوات تيتو قد اتصلت فعلا بمقدمة الجيش الروسى .

ومع ذلك فقد ظل الروتين هو الطابع السائد فى القيادة العليا . ففى كل يوم كان يعقد اجتماعان فقط — لا أكثر ولا أقل — . وكان القادة يقفون إلى مائدة طويلة فى غرفة الخرائط بينما يمسك هتلر بمؤشر طويل وأمامه أقلام جديدة .

وكان هتلر يدور على الخرائط ويفحص المناطق الضعيفة أو التى حدثت فيها ثغرات ويأمر بتقويتها بفرقة أو لواء أو كتيبة .

وسقط قلب سكورزنى من الفزع حين حضر واحدا من تلك الإجتماعات . فقد كان هتلر ينظر إلى البيارق التى تدل على الوحدات ثم يختار منها فرقة معينة ويأمر بتحركها على الفور إلى منطقة قد اقتحمها العدو لتقوم هناك بهجوم مضاد . ولكن تلك الفرقة تكون فى الواقع قد تلاشت أو تضاءلت فى المعارك السابقة إلى مايوازى قوة كتيبة واحدة من فرط ما عانت من خسائر . وكم سمع سكورزنى من أسماء لفرق مدرعة لم يكن قد بقى منها أكثر من ١٢ دبابة معطلة وهتلر يأمر بدخولها إلى المعركة باعتبارها فرقة كاملة !! كل ذلك والقادة يحنون رؤوسهم ويبادرون بأصدار أوامر هتلر إلى تلك الوحدات بغير أن يفكر أحدهم فى مصارحته بالحقيقة المرة . وبذلك أنقلبت خطط القيادة وأوامرها إلى مهازل كانت تؤدى كل يوم إلى ضياع مناطق بأسرها وراحت الهزيمة بذلك تزحف خطوة فخطوة .

وتنبه هتلر إلى ذلك الخداع ذات يوم فدخل إلى غرفة الخرائط وهو مقطب الوجه ثم دفع الأقلام إلى الأرض فى عنف وصاح بأن يودل وكيتل يخفيان عنه الحقائق . فقد ثارت وارسو على الاحتلال الألمانى ، ولم يفكر أحد فى أن

يخبره بذلك . فقد كان القادة يأملون فى قمع الثورة قبل أن يعلم هتلر بها ولكن الثورة كانت عارمة فى وارسو ولم يستطع أحـــد أخمادها فتسرب النبأ إلى هتلر .

وود سكورزنى ساعتها لو أنه عاد إلى فريدنتال وأبتعد عن ذلك الجو الخانق .

وذات يوم أشار إليه هتلر بأن يبقى بعد الإجتماع .

وعندما انصرف الجنرالات جلس سكورزنى مع هتلر ومن حولهما كيتل ويودل وريبنتروب وهيملر . وكان واضحا من وجه ريبنتروب الشاحب أنه كان على وشك السقوط فقد راحت الممالك والدول — التى كان قد سبق له أن ضمها إلى صفوف المحور — تتهاوى واحدة بعد الأخرى . وفى لهجة ساخرة راح هتلر يقول بأن لديه أنباء جديدة . لقد تفوق الديبلوماسيون على الجنرالات فى الغباء ... فقد ألقى الديبلوماسيون (وكان يعنى بذلك ريبنتروب) بحليفه الأخير الوحيد إلى أيدى الروس . وبذلك جعلوه (أى هتلر) على وشك أن يخسر الحرب .

وشحب وجه ريبنتروب عندئذ ، أما يودل وكيتل فراحا ينظران إلى السقف وبدا أن هملر لم يتأثر مطلقاً !! لأن نجمه كان يتصاعد دائما عند سقوط الآخرين ولذلك فقد اكتسى وجهه فى تلك الحظة بملامح القديسين .

وعاد هتلر إلى حديثه فقال أن حليفه الأخير هو «هنغاريا» وأنها إذا ضاعت فسوف تضيع ألمانيا لأنها كانت المصدر الوحيد للبترول اللازم للاستمرار فى الحرب كما أن مزارعها كانت هى التى تمد ألمانيا بالقمح وكانت مناجمها هى التى تمد ألمانيا بمعدن البوكسيت اللازم لصناعة الطائرات النفاثة (التى كان هتلر يأمل من ورائها أن يكسب الحرب) . وكان سقوط هنغاريا يعنى أيضاً ضياع ٧٠ فرقة ألمانية كانت ترابط فيما بين الجبهة الشرقية وإيطاليا واليونان وهى كل الدول الباقية من أوروبا المحتلة ... وكان ضياع هنغاريا أخيراً يعنى فتح الطريق أمام الجيش الروسى ليندفع نحو سهول الدانوب وفيينا . وكان سكورزنى يعلم أنه لاتوجد أى خطوط أو قوات دفاعية بين فيينا (عاصمة وطنه النمسا) وبين ألمانيا

ذاتها فمن هناك (من فيينا) كان يمكن للروس أن يندفعوا إلى قلب ألمانيا بغير أدنى مقاومة . وبذلك تنهار ألمانيا وتنتهى الحرب فى أسابيع قليلة .

ولم يفهم سكورزنى سر تشاؤم هتلر إلى هذه الدرجة فقد كانت الدلائل كلها تشير إلى أن هنغاريا غير معرضة للسقوط فى ذلك الوقت . فقد كانت جيوشها تحارب فى عنف على حدود جبال الكاربات ومعها مليون جندى ألمانى يساهمون فى ذلك الدفاع .

وكانت تلك القوة المشتركة تتحكم تماماً فى سلسلة متينة من الجبال التى ظلت تحمى بدورها جنوب أوروبا من الغزو لعدة قرون مضت .

لماذا إذاً تسقط هنغاريا ؟

وجاء التفسير من هتلر . لقد وقعت ألمانيا ضحية للخيانة من رجل كان بعيداً عن متناول يده . فقد أنقلب الأدميرال هورتى (الوصى على عرش هنغاريا) على حلفائه وراح يحاول أن ينضم إلى الأعداء . وفى الوقت الحاضر كان هورتى يجرى مفاوضات سرية مع الروس . وكان هورتى قد بدأ بالإتصال بالإنجليز . ولكن هؤلاء أحالوه إلى موسكو على أعتبار أن الجيش الأحمر كان هو الذى يواجه جنود هورتى . وكان هتلر قد علم أن المفاوضات قد قاربت نهايتها وأن هورتى كان يوشك أن يسلم بودابست إلى الروس .. بودابست التى كانت تتحكم فى الطريق إلى فيينا وبرلين .

وتحولت عينا سكورزنى ساعتها إلى الخريطة . وشاهد عليها ١٦ بيرقا يشير كل واحد منها إلى جيش روسى . وكان ذلك يعنى ١٢٠ فرقة كلها كانت تحيط على شكل حدوة حصان بحدود هنغاريا الشرقية . فلو أنهار السد الدفاعى الهنغارى على تلك الحدود لتدفقت تلك الجيوش الستة عشر إلى سهول الدانوب محطمة فى طريقها المليون جندى ألمانى .

واستأنف هتلر كلامه موجها أياه إلى سكورزنى فقال « أنت يا سكورزنى سوف تقبض على الادميرال هورتى » .

وكانت تلك المهمة بطبيعتها خطيرة وحساسة فى ذات الوقت إذ كانت هنغاريا

حليفة لألمانيا كما أن جنودها كانوا يقاتلون ببسالة على الحدود . ولذلك فإن المهمة كان يجب أن تتم على شكل مفاجأة تامة بحيث لاتدع الفرصة لتنبه الهنغاريين إلى ما يدبر للوصى على عرشهم قبل الأوان .

على أن الصداقة الظاهرة بين ألمانيا وهنغاريا كانت تقدم تسهيلات كبيرة لسكورزنى إذكان باستطاعته أن يتجول فى هنغاريا (وفى بودابست بأمان) وأن يرسم خططه فى حرية .

وبدا له كما لو أن التاريخ كان يعيد نفسه ... فقد كانت تلك المهمة شبيهة بمهمة اختطاف موسولينى فيما عدا أنها كانت يجب أن تتم فى تلك المرة فى قلب مدينة بودابست المكتظة من السكان بدلا من اتمامها على قمة جبل منعزل كما حدث مع موسولينى .

وحدد هتلر المهمة بأنها ضربة مفاجئة يتم بها قلب الحكومة الهنغارية وعلى رأسها هورتى فى وقت واحد . ثم حذره من أن العملية لن تكون سهلة لأن الادميرال هورتى قد أتخذ جميع الاحتياطات الممكنة لوقاية نفسه من الاختطاف بعد حادثة اختطاف موسولينى وعليه فإن انصاف الحلول لن تجدى معه والحل الوحيد هو اجتياح القلعة التى كان يقيم بها .

وهنا جاء دور يودل فى الكلام فقال أنه جهز قوة تتكون من سرب من الطائرات الشراعية وكتيبتين من المظلات وكتيبة مكونة من (الطلبة / الضباط) وأعد كذلك لسكورزنى طائرة خاصة من السرب المخصص للفوهرر .

وختم هتلر الحديث بقوله « أننى أعتمد عليك يا سكورزنى » ثم ناوله ورقة كانت مختومة بشعاره الخاص (النسر الألمانى والصليب الحديدى) . وكان مكتوبا فيها ... « من الزعيم ومستشار الدولة إلى كل من يعنيه الأمر : لقد كلفت الميجور سكورزنى شخصياً بمهمة خاصة وزودته بتعليمات وأوامر على أقصى درجة من الاهمية .. فعلى جميع الأشخاص من مدنيين وعسكريين أن يقدموا له كل ما يطلبه أو يأمر به من المعاونة أيا كان نوعها ومقدارها » .

التوقيع / أدولف هتلر

وكانت تلك هى الثقة بأجلى معانيها . فقد وضع هتلر بتلك الرسالة سلاحاً هائلا فى يد سكورزنى ، كان يستطيع به أن يقلب ألمانيا رأسا على عقب . . . فمن ذا الذى كان يمكن أن يجرؤ على معارضة أى اجراء يتخذه سكورزنى أو أى أمر يصدره ، وفى يده تلك الرسالة .

ولكن سكورزنى قرر منذ اللحظة الأولى أن يودع تلك الرسالة فى جيبه ثم ينساها فهو لم يكن يؤمن بإستخدام الطاعة العمياء . فقد كان يريد العون فقط من رجاله الذين يفهمونه ويطيعونه عن حب وفهم لا عن خوف . وكان يؤمن من بأنه يستطيع عن طريق اللمسة الطيبة أن يحصل عـــلى أى عون يريد من كل الجهات .

ولم تكن المهمة سهلة على نفس سكورزنى فقد نشأ منذ صباه وهو يرى فى الادميرال هورتى الرمز الوحيد الباقى على عظمة الإمبراطورية النمساوية إذ كان هورتى يحكم — تحت اسم الوصاية على العرش الذى كان بدون وريث — هنغاريا كرمز للتاج وللامبراطورية اللذين انهارا بانهيار النمسا بعد الحرب العالمية الأولى .

ومن الجانب الآخر كان الوصول إلى هورتى أشبه بالمستحيل . لأنه كان يقيم فى قلعة حصينة يحيط به الوزراء والحراس من كل جانب .

وكانت تلك القلعة تقع على تل عال يسيطر على بودابست بأكملها . وكان سكورزنى قد شاهد القلعة فى أيام صباه . والآن وبشكل فجائى صار عليه أن يقتحمها .

وبعد يومين كان ينزل فى مطار بودابست . وبدلا من أن ينزل هناك وهو على رأس قوة محاربة كما كان يقترح هتلر نزل وحيدا من طائرة ركاب تحت اسم الدكتور ولف !! . . . مجرد طبيب من كولونيا جاء يقضى أجازة قصيرة فى بودابست .

وراح الدكتور ولف !! يتجول فى انحاء بودابست وفى يده كتاب سياحى

وعلى تل القلعة راح يستمتع بهواء بودابست المنعش !! بينما كان فى الواقع يدرس تفاصيل القلعة بدقة .

وكانت جدران القلعة تحتوى على مدينة كاملة بها الوزرات والسفارات وثكنات لحرس يبلغ عدة آلاف ، وكانت شوارعها تكتظ بالجنود المسلحين المستعدين لإطلاق النار عند أى بادرة خطر . وكان الحراس والمدافع المعمرة والمصوبة والجاهزة للضرب يشاهدون فى كل ركن . وفى وسط كل ذلك كان يقف قصر هورتى الذى كان بدوره يعلو جميع مبانى القلعة ويتحكم فيها .

وكان الوصى وقتها بالقصر .

وقد أدى ذلك الاستكشاف بسكورزنى إلى اليأس الكامل من فكرة اقتحام القلعة بالقوة فقد كانت أى قوة مقتحمة مقضيا عليها تماماً وهى ماتزال فى منتصف الطريق إلى القلعة . وكانت محاصرتها بمدافع الحصار كفيلة بإثارة مشاعر القوات الهنغارية المقاتلة على الحدود ودفعها إلى التسليم إلى الروس .

وكما سبق أن ذكرنا كان هناك اقتراح بالهجوم على القلعة بواسطة قوات المظلات . ولكن سكورزنى رأى استحالة ذلك لأن الجنود الهابطين يلزمهم مكان مناسب للتجمع بعد الهبوط ولم يكن مثل ذلك المكان موجوداً قط اللهم إلا فى الساحات التى كانت تقع كلها تحت السيطرة الكاملة لنيران الحراس . أما عن النزول بالطائرات الشراعية ، فلم يكن هناك من مهبط مناسب لتلك الطائرات إلا الساحة الواقعة أمام القصر مباشرة والتى كانت سوف تتعرض لنيران كاسحة من المدافع والأسلحة التى كانت تحيط بها فى دائرة كاملة ، وأكثر من ذلك أن تلك الساحة كانت محاطة بالمبانى من كل جهة الأمر الذى يجعل هبوط الطائرات الشراعية بدوره عملية خطيرة يحتمل أن يتحطم فيها معظم الطائرات ، أما ما يتبقى منها فإن المدافع المحيطة بالساحة كانت كفيلة بتدميره فى ثوان . وقد صدق مؤرخ هنغارى حين أطلق على تلك مساحة (التى شهدت عدة مذابح بشرية عبر تاريخ بودابست) اسم « الساحة الدموية » .

وأنتهى سكورزنى إلى قرار غريب ... أن أول قلعة كان يتحتم عليه اقتحامها كانت هى عقل الادميرال هورتى ذاته ؟! .

فقد كان الأدميرال يتصرف بغرابة تامة فقد كان ذلك الأوتوقراطى قد تسلم السلطة على أثر قمعة بكل شدة لثورة شيوعية عام ١٩١٩ . وكان معنى مفاوضاته الحالية مع ستالين أنه سوف يسلم هنغاريا للشيوعية التى كان قد قاومها بنفسه ولاشك فى أنه كان سيعد نفسه سعيداً لو استطاع الأفلات بجلده عندما تتحول هنغاريا إلى دولة شيوعية على أثر التسليم إلى ستالين .

وكان الديبلوماسيون والعسكريون والعملاء والجواسيس الألمان كلهم مختلفين فى تفسير سلوك هورتى ولكنهم كانوا متفقين جميعا على أن هورتى واقع تماما تحت تأثير ابنه نيكولاس .

وكان نيكولاس شابا عابثا فى الثلاثين من عمره وكان يشاهد بصفة دائمة فى كاباريهات بودابست . ولكنه كان أيضاً على غاية النشاط فى الشئون السياسية كما انه كان (بصفة رسمية) هو ولى عهـــد هورتى الذى سيخلفه على كرسى الوصاية .

وكان المندوبين السريين للروس قد افلحوا فى اقناعه بأن الملكية فى هنغاريا (وعلى الأخص كرسى الوصاية) لامستقبل لها ولا أمان إلا بدخول هنغاريا فى الفلك الروسى .

وغير نيكولاس من رؤساء الحكومات البلقانية الذين حصلوا على وعود وتأكيدات مماثلة كان الرئيس بينيس (تشيكوسلوفاكيا) والملك ميخائيل (رومانيا) والملك بطرس (يوغوسلافيا) .

وعن طريق نيكولاس ابتلع هورتى ذلك الطعم ولكن بصفة سرية مطلقه . فكان الألمان والهنغاريون يلتقون يوميا فى كل مكان ... فى المدينة وفى جبهة القتال وفى قصر الوصاية ويتبادلون الوداد ويتغدون سويا ويشربون انخاب الصداقة ... كل ذلك بغير أن يعرف أحد من الطرفين بنية هورتى الخفية فى الصلح مع الروس .

ولكن كان وراء تلك الصداقة الظاهرة مؤامرات بعيدة المدى من الطرفين فقد اكتشف الألمان ان القائد الهنغارى العام لقوات الجبهة (الجنرال ميكلوس)

قد ألتقى خفية بقادة الجيش الروسى فى مكان منعزل بجبال الكربات وكان مصير المليون ألمانى الموجودين على الجبهة هو موضوع ذلك اللقاء ! وعلى ذلك فقد أصبح أعلان الصلح فجأة هو الاحتمال الأقرب والأخطر بالنسبة للألمان لأنه كان سيؤدى إلى ضياع هؤلاء الجنود المليون فى ظرف ساعات .

وقد تبين لسكورزنى من استكشافه أن القلعة كانت فى حالة تأهب واضح للمعركة المنتظرة فقد تحولت كل أسطح المبانى فيها إلى مواقع دفاعية قوية . أما نقطة الحراسة الألمانية (الرمزية) هناك فقد كانت هى والسفارة الألمانية محاطتان بالجنود وبالمدافع تماماً .

ومن الجبهة الجنوبية كانت الأنباء السيئة تتوالى . فقد أنقلبت هناك ثلاثين فرقة (مابين رومانية وبلغارية) ضد هتلر بعد أن كانت معدودة من الفرق الخالصة الولاء له فلو أنقلب الهنغاريون أيضاً ضده لانهارت الجبهة على وجه التأكيد فى وقت قليل .

وعليه فقد كان من المحتم عمل شىء لايقاف ذلك الانهيار .

وفى ذلك اليوم استطاع أحد جواسيس الألمان من الهنغاريين أن يحصل على ثقة نيكولاس وأنه يعلم بنبأ خطير . فقد تقرر عقد اجتماع فى مساء اليوم نفسه بين نيكولاس وبين بعض مندوبى الماريشال تيتو فى إحدى الفيلات خارج بودابست وذلك لمناقشة شروط السلح (على اعتبار أن مكانة تيتو كانت تتيح له أن يتوسط بين الروس والهنغاريون للحصول للأخيرين على أفضل الشروط) .

وتلقى سكورزنى ذلك النبأ كنعمة هابطة من السماء . فقد كانت تلك هى فرصته الكبرى للامساك بولى العهد (نيكولاس) متلبسا بالمفاوضة مع الروس وعندئذ فإنه سوف يكون المؤكد أن هورتى سوف يضطر إلى نفض يديه من مسأله الصلح وإلا أعترف على نفسه علنا بجناية الخيانة .

وجهز سكورزنى قوة مناسبة على عجل وأحاط بها الفيلا وظهرت عربة نيكولاس فى الموعد المحدد .وكاد الألمان الكامنين عند مدخل الطريق أن يتقدموا

لايقاف السيارة والقبض عليه . ولكن سكورزنى لمح والدهشة تملاء جوانحه الأدميرال هورتى نفسه وهو جالس فى السيارة بجوار أبنه .

وفكر سكورزنى بسرعة ورأى أنه من الأفضل أى ينتظر حتى يتم الاجتماع وبذلك تتأيد خيانة هورتى تماماً ويصبح القبض عليه بعدها أمرا مسلما به من الجميع حتى الهنغاريين كما أنه خشى من أن يقاوم الحرس الذى كان يحيط بالسيارة مقاومة تؤدى إلى قتل أو جرح هورتى وهو ما كانت أوامر هتلر تحتم عليه أن يتفاداه .

وعلى ذلك فقد توقف عن إعطاء الإشارة بالهجوم على السيارة ثم سحب القوة كلها وعاد بها إلى بوادبست .

وجاء الجاسوس فى اليوم التالى ليقول أن الاجتماع كان مثمرا وأنه تحدد فيه يوم الأحد القادم (١٥ أكتوبر) لتوقيع وثيقة التسليم وكان الذى سيوقعها هو نيكولاس وكان مكان الاجتماع هو مكتب حكومى يقع فى الطابق الثانى من أحد المبانى القريبة من الدانوب . وكانت سترافق نيكولاس إلى ذلك الاجتماع قوة حراسة ضخمة .

وكان يوم ١٥ أكتوبر يوما مشرقا من أيام الخريف . وراح الجانبان يأخذان فى صباحه إستعداداتهما الأخيرة لمسرحية مثيرة تشبه الأوبريتات الهنغارية المشهورة بكثر مفاجآتها بفارق واحد هو أن نزول الستار على المشهد الختامى كانت سيعقبه إطلاق النيران بدلا من القذف بالورود .

وتوجه سكورزنى فى الموعد وحده أولا إلى مسرح الحوادث المنتظرة .. متنكرا فى ثياب الدكتور ولف . وهناك شاهد فى الميدان (الذى يقع أمام المبنى) عربتان مدرعنان وبجانبهما لورى جيش وجوانبه مغطاه بالقماش (وكان واضحا أن اللورى يعج بالجنود من الداخـــل) . وعلى باب المبنى كانت تقف عربة نيكولاس .

ووقف سكورزنى بعربته المدنية قريباً من العربتين المدرعتين وراح يفتح غطاء الماكينة ويتظاهر باصلاحها . وفى تلك اللحظة شاهد يداً تمتد تحت غطاء

اللورى وترفعه قليلا وأعقبها رأس متطلع راح ينظر إليه فى ريبة ثم عاد الغطاء لموضعه وأختفى الرأس بعد أن أطمأن صاحبه إلى منظر ذلك الطبيب المسالم وهو منهمك فى إصلاح عربته .

وبنصف عين لمح سكورزنى فى مدخل المبنى ثلاثة ضباط يمسكون بالمدافع الرشاشة كما لمح أثنين آخرين يذرعان الحديقة التى كانت تقع فى منتصف الميدان وعلى ذلك فقد بدأ المؤتمر .

وبإيماءة من رأس سكورزنى تحرك رجاله (الذين كانوا قد وصلوا بدورهم . أثنان على شكل متنزهين عاديين وأثنان آخران كانا قادمين فى ملابس عمال . . وبعدهم كان رجل البوليس الحربى الألمانى يسير فى الميدان بهدوء كما لو كان يقوم بأعمال الداورية العادية) وانطلق الرجال الخمسة إلى باب المبنى وفى ثوان كانوا قد أختفوا بداخله . ولكن الهنغاريون كانوا على قدم اليقظة بدروهم . فما كاد سكو زنى ورجاله يخطون إلى داخل المبنى حتى انطلقت النيران بشدة من اللورى وسقط على أثرها رجل البوليس الحربى . فاندفع سكورزنى إليه وسحبه خلف سيارته وعندئذ راحت النيران تجتاح السيارة من اللورى والعربات المدرعة والضابطين اللذين كانا يتمشيان فى الحديقة .

وبمسدسه فقط راح سكورزنى يرد على تلك النيران المتدفقة ثم يطلق صفارته .

وكان فولكسرام يرابط فى تلك اللحظة (بأوامر من سكورزنى) فى شارع قريب فما كاد يسمع الصفارة حتى اندفع برجاله إلى الميدان .

وما كاد الجنود الهنغاريون الراكبون فى اللورى يلمحون قوة فولكسرام الضخمة حتى غادروا اللورى وهربوا بأقصى سرعة . ولكن جعبة نيكولاس لم تكن خاوية فقد كان ذلك الأخير قد أعـــد قوة وأخفاها فى مبنى قريب وأندفعت تلك القوة تحاول الخروج من المبنى والاشتراك فى المعركة . ولكن رجال سكورزنى (بما كانوا قد طبعوا عليه من قدرة على التصرف السريع) كانوا قد بادروا بالقاء القنابل اليدوية والمتفجرات على مدخل ذلك المبنى الأخير فأنهدمت الجدران وصار ذلك المدخل موصدا بالحجارة والانقاض .

وجرى سكورزنى عندئذ إلى داخل المبنى وصعد إلى الطابق الثانى وفى أثره رجاله وهناك وجد أن رجاله الأربعة الذين كانوا قد أقتحموا المبنى منذ البداية قد قبضوا على نيكولاس هورتى . وشاهد سكورزنى نيكولاس وهو يتخبط بين أيديهم ويصيح مهدداً بالانتقام .

وأمر سكورزنى رجاله بوضع نيكولاس على سجادة كبيرة كانت فى الصالة ثم طواها عليه وربطها بحبل إحدى الستائر وأمر الرجال بحمله على هذه الصورة والقائه فى أحد اللوارى التى جاءت بها قوة فولكسرام ثم صاح بالسائق «« إلى المطار ... سوف اتبعكم على الفور »» والتفت بعد ذلك إلى فولكسرام ثم أمره بجمع رجاله والانسحاب فورا مع إيقاف إطلاق النار ثم قفز إلى سيارة أخرى وسار بها خلف اللورى .

وظهرت عندئذ فى الميدان وفى الطريق قوات هنغارية ضخمة وراحت تتجه كلها إلى اللورى والسيارة التى كانت تتبعه . . . وكان لابد من عمل شىء لايقاف تدخل تلك القوات قبل أن تفسد العملية كلها .

ونزل سكورزنى من العربة ثم توجه بالخطاب رأسا إلى قائد تلك القوات وصاح به «« قف ... يجب ألا تتجه إلى ذلك الطريق»» وتوقف القائد وتوقف رجاله كذلك من خلفه وراح ينظر فى دهشة إلى سكورزنى ثم سأله «« ما هى الحكاية ؟ »ولم يتردد سكورزنى فى متابعة الخدعة فراح يسرد على القائد قصة ملفقة وراح يدور به فى متاهات لامعنى لها حتى انقضت عدة دقائق واطمأن سكورزنى إلى أن رجاله جميعا قد انسحبوا وأن اللورى قد ابتعد بمسافة كافية . وعندئذ لم يتردد فى العودة إلى سيارته ببساطة ثم قادها نحـــو المطار بغير أن يعترضه أحد .

وفى المطار رأى أسيره وهو يتحرك بشدة داخل السجادة فأمر بنقله على تلك الصورة إلى الطائرة التى كانت تقف ومحركاتها دائرة وفى دقائق كانت تحلق فى الجو وتتجه إلى ألمانيا .

وعاد سكورزنى إلى الفندق الذى كانت تحتله القيادة الألمانية ليفكر فى الخطوة التالية

وهناك سمع بمكالمة تليفونية جاءت من السفارة الألمانية (فى القلعة) وكانت تقول أن القلعة فى حالة حشد كامل وأن الطوارىء قد أعلنت هناك وأن جميع الطرق أغلقت بالالغام والسدادات وأن السفارة قد وجهت إلى الحكومة احتجاجا شديدا على وقوف الحراس فى وجه الملحق العسكرى الألمانى ومنعه من النزول إلى المدينة .

وبعدها أذاع راديو بودابست الإعلان التالى « يعلن الوصى على العرش أن ألمانيا قد خسرت الحرب فعلا وعليه فقد وقعت هنغاريا هدنه مؤقتة مع روسيا وتقرر إيقاف الأعمال العدوانية فى الحال » .

ولم يكن فى ذلك النبأ مايفزع لأن الهدنة المؤقتة التى أعلنها هورتى كانت تعنى أن القوات الروسية لم تكن قد استعدت بعد لاجتياح الأراضى الهنغارية وعليه فقد كان الموقف لا يزال فى يد الألمان وكان اختطاف نيكولاس هو الذى كشف المؤامرة قبل أن تنضج وتؤتى ثمرتها وهى ضياع مليون جندى ألمانى .

وأسرع جنرال ألمانى إلى الجبهة فى الحال ليقبض على القائد العام الهنغارى (الجنرال ميكلوس) قبل أن يتمكن الأخير من فتح الدفاعات على مصراعيها للروس . ولكن الجنرال وصل متأخراً لأن ميكلوس كان قد انضم فور سماعه للاذاعة إلى الروس ومعه عدد قليل من أركان حربه .

ولكن الألمان شعروا بسرور شديد حينما وجدوا أن القوات الهنغارية (بعد أن فقدت قائدها العام) على إستعداد تام لتسليم سلاحها إليهم . والذى حدث فعلا وأدى إلى تلك النتيجة كان هو أن ضباط وزارة الحرب الهنغارية أصابهم من الاضطراب ماأنساهم أن يرسلوا إشارات إيقاف إطلاق النار وتسليم الأسلحة إلى الروس ... وكان سبب ذلك الاضطراب هو حادث خطف نيكولاس هورتى .

وفكر سكورزنى فى أن الخطوه التالية يجب أن تكون هى الاستيلاء على الفور على القلعة ذاتها . وراح هو وضباط القيادة يتدارسون الخطط اللازمة . وهنا تدخل ضابط كان يدعى باخ زيلويسكى فقال أنه يوجد تحت أمرته مجموعة من مدافع المورتار عيار ٢٥ بوصة (وهى سلاح رهيب حقاً) التى استطاعت

أن تشق للقوات الألمانية طريقا واسعا إلى قلعة سبا ستبول كما أنها أثبتت نجاحها ضد المناطق الثائرة فى وارسو أيضاً . وطالب زيلويسكى إذنا بأن يوجه نيران تلك المدافع إلى القلعة فيحيلها إلى هشيم تذروه الرياح .

ورفض سكورزنى الفكرة بتاتا وبرر رفضه بأن غرض هتلر كان هو إيقاف ارتماء هنغاريا فى أحضان الروس لا التعجيل بذلك عن طريق إسالة الدماء بمثل هذه الصورة الوحشية . ووقف ضباط القيادة حائرين بين زيلويسكى وسكورزنى فقد كان الهجوم الأراضى على القلعة مستحيلا وكذلك كان الهجوم من الجو فماذا بقى سوى الأخذ برأى زيلويسكى ! ! ؟ وخاصة لأنه فى مواجهة ٣ فرق هنغارية كانت ترابط فى بودابست لم يكن الألمان يملكون أكثر من فرقة واحدة .

وتقدم سكورزنى بالخطة التى رآها مناسبة . . .

يتم حشد كل القوات الألمانية حول القلعة من جميع الجهات كما لو كان المقصود هو حصارها بالطريقة التقليدية وعند الفجر تقوم كتيبتان بهجوم مخادع على أحد الجوانب بينما يتم الهجوم الأصلى من الجانب الآخر .واقترح لها الاسم الكودى « بازوكا » . وكان تعليق زيلويسكى على تلك الخطة فى غاية الوقاحة ولكن القادة قبلوها فى آخر الأمر لسبب بسيط هو أنهم لم يجدوا لديهم أفضل منها .

ووصل كولونيل هنغارى فى تلك اللحظة وطلب المفاوضة . وراح يبدأ كلامه بالشكوى من تلك التصرفات الألمانية التى أهاجت الخواطر . وقال أنه يأمل ألا تؤدى رغبة هورتى الشديدة فى السلام إلى التأثير فى متانة الصداقة الألمانية الهنغارية .

وأجاب الألمان عندئذ متسائلين لماذا إذن تحاصر السفارة الألمانية بداخل القلعة ولماذا منع الملحق العسكرى الألمانى من النزول إلى المدينة ؟؟؟ أن الخلق الهنغارى الذى يتميز بالشهامة يأبى ذلك بغير شك .

وأحمر وجه الكولونيل الهنغارى عند ذلك خجلا ، وكان فى ذلك بادرة أمل انتهزها سكورزنى فراح يطلب (كدلالة على صدق نية الهنغاريين فى الاحتفاظ

بصداقة الألمان) فتح الطريق أمام رجال السفارة (من مبنى السفارة داخل القلعة إلى بابها الذى يدعى « باب فيينا ») لكى يتحركوا بحرية ما بين القلعة و بين القيادة الألمانية فى المدينة . ثم اتبع سكورزنى ذلك الطلب بالتهديد بأن الألمان سيضطرون فى حالة عدم إجابته إلى اتخاذ الإجراءات الضرورية ملازمة . وبدأ التردد على الكولونيل فتابع سكورزنى كلامه بأنه لابد وأن الأدميرال هورتى بصفته من رجال البحر يجهل أنه لايوجد أى داع تكتيكى لإغلاق طريق بالالغام والسدادات بينما هو محكوم فعلا باقواس النيران المتداخلة (مثل طريق السفارة الذى كان كل متر منه واقعا تحت نيران دفاعية مباشرة) .

ووعد الهنغارى ببحث ذلك الطلب قائلا أن أحدا من الهنغاريين لايريد معاداة الألمان طالما كانوا يرغبون فى السلام ، ثم انطلق عائدا إلى القلعة .

« صلح أولا لاصلح ... يجب أن تستمر الخطة » بازوكا » ...

كان هذا هو رأى سكورزنى وللمرة الثانية وافق القادة الألمان . واستدعى سكورزنى ضباطه وشرح لهم الخطة . وقبل الفجر بنصف ساعة راحت قواته تتحرك فى هدوء إلى نقط الاقتراب من القلعة . وكانت أوامر سكورزنى المشددة تقضى بعدم اطلاق النار مهما حدث إلا بأمر مباشر من ضابط مسؤول .

وتحرك سكورزنى أولا (فى ملابسه الرسمية) بعربة مكشوفة ومعه خمسة من ضباط الصف المسلحين وتبعته ٤ دبابات كانت هى كل ما استطاع أن يقترضه من وحدة كانت فى طريقها إلى الجبهة وبعد الدبابات جاءت الطوربيدات الأرضية الحية ، وهى أربع دبابات تتحرك بالتوجيه بواسطة اللاسلكى وتحمل شحنات قوية من المتفجرات ويمكن توجيهها نحو أى جدار قوى لتنفجر تحته وتدمره . ووراء تلك الدبابات كان جنود المشاة يركبون اللوريات .

وكان منظر تلك القوة عجيبا لأنها كانت تسير فى خط واحد كما لوكانت تتحرك فى طابور سير وليس إلى قتال لايعلم غير الله مداه .

وبهذا الشكل وبغير دوريات استكشاف أو نيران تحميه تقدم سكورزنى بتلك القوة إلى القلعة . ثم توقف قبلها وقام بتفتيش سريع على الرجال والأسلحة

وللمرة الثانية كان تفكير سكورزنى منصبا فى أن حامية القلعة لن تفكر فى إطلاق النار على مثل ذلك الطابور الذى يسير فى بساطة وبغير أن ترتفع فيه فوهة مدفع أو بندقية أما لو كان مخطئا فإن مصيره مع قوته كان هو الموت المحتوم .

وقبل الساعة السادسة صباحا بخمس دقائق دارت ماكينات العربات وبإشارة من يد سكورزنى تحرك الطابور .

واحتبست أنفاسه فى صدره وهو يقترب بعربته خطوة فخطوة من باب فيينا فقد كانت الألغام الأرضية هى أشد ما يخشاه . ولكن شيئا لم يحدث . وإذن فقد أزال الهنغاريون تلك الألغام على الأقل تدليلا على حسن نيتهم .

وبعد دقيقة أخرى ظهر شبح « باب فيينا » الضخم . وبدت أمامه سدادة طريق ضخمة ... ولكن ما هذا ؟ !!! أن السدادة مفتوحة من منتصفها بما يكفى لمرور عربة كبيرة أو حتى دبابة ... لقد نجح الكولونيل الهنغارى فى إقناع هورتى بفتح الطريق .

وظهر بعض الحراس أمام باب فيينا وراحوا ينظرون بفضول إلى الطابور المقترب . ولم يفكر أحد منهم فى أن يشك فى طبيعة ذلك الطابور السلمية الواضحة . ومادام الحراس قد تلقوا أمرا بفتح الطريق ، ومادام هذا الطابور قادما بغير أن يشرع سلاحا أو يطلق أى نار فإنه من البديهى أن يكون قد حصل على إذن بدخول القلعة .

وعلى تلك الحالة النفسية كان يرتكز أمل سكورزنى كله .

وفتح الحراس الباب أمام الطابور ، واستعدوا لفحص أوراق القادمين ولكن سكورزنى لم يزد عن أن أبطأ بعربته قليلا ثم مر من الباب بدون توقف بعد أن أشار إلى الحراس بالتحية وهو يبتسم فى حبور !!

ومن ورائه دخلت الدبابات وهى مفتوحة الأبراج والضباط يطلون منها ويحيون الحراس بالتحية العسكرية وهم يبتسمون !! . وبدا الطريق بعد ذلك هادئا حتى قصر الرئاسة . . وكان الحراس الجاثمون خلف المدافع المسيطرة على الطريق قد اطمأنوا حينما شاهدوا ذلك الطابور يدخل من باب فيينا بغير أن

يعترضه حراس الباب أو يطلقوا عليه النار ... وآمن كل جندى وكل ضابط هنغارى بأن ذلك الطابور قد دخل القلعة بأذن رسمى .

وكانت تحيات سكورزنى وتلويحاته السلمية البهيجية تؤيد ذلك الإيمان .

وبذلك وصلت القوة فى أمان تام إلى قصر الرئاسة وكان الفضل فى ذلك يرجع لعاملين . أولهما ماطبع عليه الهنغاريون من نظام وإيمان بالتعليمات الجامدة التى كانت تربط دائما بين العدو وبين إطلاق النار وهو مالم يحدث بفضل العامل الثانى وكان هو الثبات والهدوء اللذان عود سكورزنى رجاله عليهما .

وعند مبنى السفارة الألمانية تحول نصف الطابور إلى شارع جانبى ودار منه ووصل إلى قصر الرئاسة من الخلف بينما استمر النصف الآخر خاف سكورزنى حتى وصل إلى قصر الرئاسة من الأمام .

وعلى باب القصر كانت توجد ثلاثة دبابات هنغارية ثقيلة ... ولكن رجالها ما كاد يرون أنفسهم محاصرين من الأمام ومن الخلف حتى نزلوا من الدبابات ووقفوا بجوارها فى استسلام .

ولكن باب القصر كان محجوبا بجدار كبير من الطوب .

وبإشارة من سكورزنى تقدمت إحدى دباباته وصدمت الجدار صدمة حطمته . وقفز هو عندئذ من سيارته واقتحم الثغرة يتبعه ثمانية رجال بقيادة ولكسرام (الذى كان عليه أن يتولى القيادة فى حالة إصابة سكورزنى) .

وفى فناء القصر رأى ستة مدافع مضادة للدبابات . ولكنه لم يتوقف ليبحث فى كيف تدخل دباباته وهذه المدافع تنتظرها بل واصل الجرى واقتحم القصر وكانت إشارات الأنذار تدوى وقتها من حوله .

وفى الردهة كان يقف كولونيل هنغارى مصوبا مسدسه إلى صدر سكورزنى ولكن فولكسرام دار حوله وفى قفزة واحدة كان فوقه ... وطار المسدس من يده . وظهر ضابط هنغارى آخر فصاح به سكورزنى، تعال بسرعة ... تعال معى يجب أن أرى القائدفوراً !! . وتحرك الضابط عندئذ وراح يقود سكورزنى إلى السلالم الرئيسية ثم وصل به إلى غرفة قائد الحرس .

وبكل بساطة دق سكورزنى على الباب ففتح القائد (وكان برتبة جنرال) وفوجىء بسكورزنى وهو يطلب منه التسليم قائلا أن القلعة كلها صارت فى يد الألمان . وكانت النيران ساعتها تدوى من الخارج فطلب منه سكورزنى وهو يلوح بمسدسه أن يصدر إشارة ايقاف اطلاق النار .

وساعد المسدس على إقناع القائد قليلا ولكن الذى حسم الأمر كان هو خدعة بارعة من فولكسرام الذى أرسل ضابط صف إلى سكورزنى لكى يقول له ساعتها (على مسمع من الجنرال) أن الحامية كلها قد استسلمت وأن القصر قد تم احتلاله من أقصاه إلى أقصاه .

وعندئذ استسلم القائد وأصدر إلى ضباطه الأمر بإيقاف اطلاق النار .

وأراد سكورزنى أن يضمن ولاء القائد تماما فراح يصافحه ويمتدح قراره بالتسليم و يؤكد له أن هنغاريا سوف تدين له أبدا بذلك القرار الحكيم وبقى عليه أن يحصل على ولاء الضباط الهنغاريين الذين كانوا يحيطون به ساعتها ويوجهون إليه نظرات عدائية فالتفت إليهم واختار من بينهم ضابطين وعينهما ضباط اتصال معه ثم أمرهما بالاشراف على عملية تسليم أسلحة جنودهم فى الفناء . ولكنه سمح لكل الضباط بالاحتفاظ بمسدساتهم كدليل على ثقته بهم واحترامه لهم .

ثم جمع الضباط فى الردهة وراح يخطب فيهم بالألمانية (التى كانوا يعرفونها جميعا) « أيها السادة . . . أننى لسعيد بأننا الآن قد وضعنا حدا لسوء التفاهم بيننا . إن ألمانيا وهنغاريا عاشتا حليفتين دائما فلنضع أيدينا فى أيدى بعض ونواجه عدونا المشترك . . . » وهكذا .

وكانت تلك هى أول خطبة سياسية يلقيها سكورزنى . ولكنها نجحت نجاحا باهرا بحكم لباقته فى الإشارة إلى الأخوة فى السلاح وإلى استخدامه لهجته النمساوية بوضوح (لأن الهنغاريين يعتبرون النمساويين أبناء عم لهم) . وعندما وصل إلى ختام خطبته لم يتردد الضباط الهنغاريون فى تحيته ومصافحته فى ابتهاج شديد ثم انسحبوا بعد ذلك فى هدوء تام . وصار سكورزنى هو سيد القلعة . ولم تكلفه العملية الضخمة سوى سبعة من القتلى و ٢٥ جريحا .

وأصر سكورزنى فى اليوم التالى على دفن القتلى من الألمان والهنغاريين فى مدفن واحد بعد أن أقام لهم جنازة مشتركة . . . وكان أثر ذلك التصرف عظيما فى نفس الهنغاريين .

وبكل بساطة دق سكورزنى على الباب ففتح القائد (وكان برتبة جنرال) وفوجىء بسكورزنى وهو يطلب منه التسليم قائلا أن القلعة كلها صارت فى يد الألمان . وكانت النيران ساعتها تدوى من الخارج فطلب منه سكورزنى وهو يلوح بمسدسه أن يصدر إشارة ايقاف اطلاق النار .

وساعد المسدس على إقناع القائد قليلا ولكن الذى حسم الأمر كان هو خدعة بارعة من فولكسرام الذى أرسل ضابط صف إلى سكورزنى لكى يقول له ساعتها (على مسمع من الجنرال) أن الحامية كلها قد استسلمت وأن القصر قد تم احتلاله من أقصاه إلى أقصاه .

وعندئذ استسلم القائد وأصدر إلى ضباطه الأمر بإيقاف اطلاق النار .

وأراد سكورزنى أن يضمن ولاء القائد تماما فراح يصافحه ويمتدح قراره بالتسليم ويؤكد له أن هنغاريا سوف تدين له أبدا بذلك القرار الحكيم وبقى عليه أن يحصل على ولاء الضباط الهنغاريين الذين كانوا يحيطون به ساعتها ويوجهون إليه نظرات عدائية فالتفت إليهم واختار من بينهم ضابطين وعينهما ضباط اتصال معه ثم أمرهما بالاشراف على عملية تسليم أسلحة جنودهم فى الفناء . ولكنه سمح لكل الضباط بالاحتفاظ بمسدساتهم كدليل على ثقته بهم واحترامه لهم .

ثم جمع الضباط فى الردهة وراح يخطب فيهم بالألمانية (التى كانوا يعرفونها جميعاً) « أيها السادة . . . أننى لسعيد بأننا الآن قد وضعنا حدا لسوء التفاهم بيننا . إن ألمانيا وهنغاريا عاشتا حليفتين دائما فلنضع أيدينا فى أيدى بعض ونواجه عدونا المشترك . . . » وهكذا .

وكانت تلك هى أول خطبة سياسية يلقيها سكورزنى . ولكنها نجحت نجاحا باهرا بحكم لباقته فى الإشارة إلى الأخوة فى السلاح وإلى استخدامه لهجته النمساوية بوضوح (لأن الهنغاريين يعتبرون النمساويين أبناء عم لهم) . وعندما وصل إلى ختام خطبته لم يتردد الضباط الهنغاريون فى تحيته ومصافحته فى ابتهاج شديد ثم انسحبوا بعد ذلك فى هدوء تام . وصار سكورزنى هو سيد القلعة . ولم تكلفه العملية الضخمة سوى سبعة من القتلى و ٢٥ جريحا .

وأصر سكورزنى فى اليوم التالى على دفن القتلى من الألمان والهنغاريين فى مدفن واحد بعد أن أقام لهم جنازة مشتركة . . . وكان أثر ذلك التصرف عظيما فى أنفس الهنغاريين .

الفصل التاسع

نفاثات . . صواريخ . طوربيدات

لقد جنت شهرة سكورزنى عليه . فقد صار الجنرالات كلهم من حساده . وراحوا يعرقلون ما أمكنهم من خططه وابتكاراته ، ويعوقون امداد القوات الخاصة سواء بالرفض المباشر أو الاهمال أو التأخير المتعمد .

ولكن سكورزنى لم ييأس بل راح يواصل نشاطه . وبدأ بالتفكير فى توجيه ضربات استراتيجية مفاجئة إلى روسيا وبريطانيا وذلك فى مناطق باكو والعراق والسويس وكانت أهم تلك الضربات هى تدمير أنابيب البترول فيما بين العراق وحيفا وطرابلس . ولكن سرب الطائرات الذى كان ملحقا معه كان مكونا من الطائرات المتوسطة المدى ولم يستطع سكورزنى أن يحصل على طائرات بعيدة المدى من سلاح الطيران ففكر فى استخدام قاذفات القنابل الأمريكية التى وقعت سليمة فى يد الألمان . ولم يتردد فى الاستيلاء على ٦ من تلك الطائرات وإعدادها لنقل رجاله إلى الشرق الأوسط . ولكن سوء الحظ لازمه فقد دمرت تلك الطائرات فى خلال غارة جوية عنيفة . واضطر سكورزنى إلى إلغاء مشروع تدمير أنابيب البترول .

وعرض على القيادة أن يرسل بعضا من رجاله المدربين على أعمال الضفادع البشرية لكى يقوموا بتدمير السفن الانجليزية وهى تجتاز قنال السويس . وكان ذلك جديراً باغلاق القناة لعدة شهور وإجبار سفن الحلفاء على الدوران حول أفريقيا فى رحلات طويلة مجهدة . ولكن القيادة لم تعطه موافقتها إلا بعد أن كانت قبضة الحلفاء قد اشتدت على البحر الأبيض المتوسط بالدرجة التى لم يعد معها تنفيذ ذلك المشروع مجديا .

والتفت عندئذ إلى باكو (مركز إنتاج البترول السوفييتى الرئيسى) وفكر

فى أن يرسل قوة لتدمير آبار البترول هناك وبذلك يوقف إمداد الجيش الروسى بالبترول لمده طويلة . ولكن موافقة القيادة لم تصله هذه المرة أيضاً إلا بعد أن وقعت آبار البترول الرومانية تماما فى أيدى الروس .

وهكذا راح يضع المشروعات واحدا أثر الآخر . وراحت المشروعات تموت بدورها على يد القيادة الألمانية العليا ما بين الرفض والتأخير .

ولكنه ظل يناضل بكل قواه محاولا أن يؤخر من انهيار ألمانيا . وكان رجاله يشاركونه فى ذلك الشعور . ولكن أروع محاولاته فى تلك الفترة لم تتم بواسطة الرجال وإنما بواسطة امرأة .

فقد كانت الفراولين (السيدة) هانا ريتش طيارة تعمل فى اختبار الطائرات ولكنها كانت تملك جرأة تتجاوز كل معقول ، كما أنها كانت الشخص المدنى الوحيد الذى حصل فى خلال الحرب على نيشان الصليب الحديدى من الدرجة الأولى .

وقبل أن يدرى أحد بوجود الطائرات النفاثة ، كانت هانا قد قادت أول طائرة نفاثة . ولكن الطائرة كانت بها بعض الأخطاء فسقطت بهانا ، التى أصيبت بكسور وجراح شديدة وقضت فى المستشفى شهورا طويلة حتى شفيت ، ثم قضت بعد ذلك شهورا أطول وهى تتدرب على السير والحركة من جديد . على أن كفاحها الأعظم كان مع نفسها فقد أصيبت بصدمة عصبية شديدة من الحادث جعلتها بعد ذلك تخشى أن ترتفع عن الأرض ولو إلى ارتفاع متر واحد . ولكى تتغلب هى على تلك الصدمة صممت على أن يحملوها إلى سقف بيتها وظلت هناك تدرب نفسها على الثبات والنظر إلى الأرض بغير خوف .

وذات يوم دعت أصدقاءها إلى تناول الشاى بالمطار وعندما وصلوا إلى هناك رأوا طائرة تقوم بألعاب بهلوانية فوق المطار ثم نزلت إلى المطار وخرجت منها هانا وهى تصيح « إننى استطيع الطيران » .

وقد التقى بها سكورزنى فى «عرين الذئب» فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ وأعجب

بروحها الوثابة . فقد كانت على استعداد للصعود إلى القمر فى سبيل تحقيق النصر لبلادها . وتحدثا يوما عن تجارب الصواريخ التى كانت تجرى فى بينموند . فقال لها أنه زار بينموند وشاهد الصاروخ وأنه يرى أن توجيه ذلك الصاروخ لم يزل غير دقيق وأنه يعتقد أنه من الأفضل يستخدم هذا الصاروخ كطائرة انتحارية وعندئذ فإنه يستطيع بسرعته الهائلة وبقيادة طيار فدائى أن يدمر أى هدف كبير مثل البرلمان الانجليزى وهو فى لحظة انعقاد أو بارجة كبيرة أو حاملة طائرات الخ.

وأعجبت هانا بالفكرة وشجعته على تنفيذها . فلم يتردد فى التوجه إلى مكتب مارشال الجو ميلخ زاعما أن هتلر قد وافق على الفكرة وطلب منه معاونته . وبعد جدال ضعيف من المارشال ومعاونيه (الذين رأوا أن تلك الفكرة جنونية ولكنهم لم يستطيعوا أن يرفضوها مادام هتلر قد وافق عليها) وافق المارشال وأمر له بالمواد وبالفنيين اللازمين.

وفى مطار فريدنتال راح سكورزنى يجهز بضع صواريخ بمقاعد قيادة ويطلب المتطوعين اللازمين لقيادتها .

وأقبل عليه المتطوعون بالمئات . فقد كانت هناك مئات الطيارين بدون طائرات وكانوا كلهم قد سئموا الجلوس فى المطارات بغير عمل أو تحويلهم إلى ضباط فى وحدات برية وكانوا كلهم يرون أنه من الأفضل للواحد منهم أن يموت فى مقابل هدف كبير على أن يعيش عاطلا هكذا .

وبدأت التجارب فطار واحد منهم بالصاروخ (بعد أن تم اطلاقه على ارتفاع كبير من قاذفة قنابل) ثم دار به فى السماء ونزل به إلى المطار ، ولكن الصاروخ تحطم به بدون سبب معقول .

وتكررت المأساة فى اليوم التالى .وعندئذ جاءت الأوامر من المارشال ميلخ (الذى كان قد علم بتلك الخسائر) بإيقاف التجارب .

وجاءت هانا ريتش لتزوره بعدها ، وغضبت أشد الغضب حين سمعت بإيقاف المشروع فعرضت عليه أن تطير هى بصاروخ لكى تثبت سلامة الفكرة

ورفض سكورزنى أن يقبل تلك المجازفة خوفا عليها من ناحية وتفاديا لمحاكمته على مخالفة الأوامر من ناحية أخرى .

وعندما صارحها بذلك الرفض صاحت به « كيف تتردد وأنت الرجل المشهور بجرأته فى مخالفة الأوامر » ، ولم يتمالك أن خضع لها ساعتئذ . فأبلغ قائد المطار (كذبا) أن حظر التجارب قد ألغى وسمح لها بأن تطير بصاروخ .

وطارت هانا بصاروخ ثم نزلت به فى سلام . . . وجاءته وهى تصيح « انى كنت واثقة من نجاحى . . . أن هؤلاء الطيارين لا يعرفون كيف يهبطوا بالطائرات السريعة » .

وتوجه سكورزنى عندئذ إلى المارشال ميلخ وأبلغه بنجاح تلك التجربة . وبدلا من أن يشكره ميلخ صاح به مؤنبا «أن ذلك العمل كان جديرا بان يذهب بك إلى المقصلة » . ولكن ميلخ استسلم لإلحاح سكورزنى أخيرا وسمح له باستئناف العمل . وفى الوقت الذى بلغت فيه التجارب ذروة النجاح بدأ وقود الصواريخ يتوقف عن الوصول إلى فريدنتال . . . لقد عادت البيروقراطية والحسد والإهمال إلى عادتها القديمة .

وراحت توسلات سكورزنى وطلبات رادل فى سبيل الوقود عبثا .

ومات المشروع .

وذات يوم كان سكورزنى يتناول الطعام مع هيملر فى « عرين الذئب » فراح يقترح بعد ان ذكر له هيملر أن الصواريخ ٧١ — أو القنابل الطائرة كما كان يسميها الانجليز — بدأت تتساقط على لندن ، أن تطلق تلك الصواريخ من الغواصات . ووثب هيملر ساعتها فى سرور إلى خريطة كبيرة وراح يشير مبتهجا إلى نيويورك ويقول أن تلك الفكرة جديرة بتأديب الولايات المتحدة وذلك بضربها بتلك الصواريخ من الغواصات . ولكن الفكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ . فقد قضى غزو الحلفاء لأوروبا عليها .

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٤ وبعد أن نجح الحلفاء فى غزو نورماندى ، وفى دفع الألمان إلى الخلف ، اهتزت ألمانيا كلها لنبأ نزول الحلفاء الكبير بالمظلات على

مصب الراين . فقد كان نزولا ناجحا لأقصى درجة . وراح سكورزنى يحمد الله يوميا على أن تلك العملية لم توجه إلى برلين لأنها كانت جديرة بأن تنهى الحرب إذ كانت برلين بغير دفاع تقريبا ضد مثل هذا الهجوم الجوى كما كانت القيادة العليـــا وجميع القيادات الفرعية قد انتقلت إليها مما كان يجعل الكارثة محققة .

وكان الحلفاء يقصدون من ذلك الهجوم أن يفتحوا الطريق للاستيلاء على ميناء انتورب البلجيكى واستخدامه فى تلقى الإمدادات . ولكن الذى حدث كان أفضل لهم من ذلك بكثير فقد وقع فى أيديهم رأس كوبرى على الراين الأدنى كما وقع فى أيدى فرقة من الحرس البريطانى الكوبرى ذاته (كوبرى نيمجن) وكان الكوبرى يسيطر على الطريق الوحيد الممتد إلى قلب ألمانيا ! ! .

وأطلق هتلر عندئذ إشارة الخطر .. ولمدة ١٠ أيام ظلت المعارك تدور فى ضراوة حول الكبرى وراحت الفرق الألمانية تهاجمه يوما بعد يوم ولكنها فشلت فى استعادته . كما أطلق جورنج كل ما كان لديه من قاذفات القنابل لتدميره ولكنها فشلت أيضاً . ويكفى للدلالة على فظاعة تلك المحاولات أن نعلم أن ستمائة طيارة ألمانية حاولت الواحدة تلو الأخرى أن تصطدم بالكوبرى لتدميره ولكنها كانت تدمر قبل أن تبلغه . وراحت قبضة البريطانيين تشتد على كوبرى نيمجن ومن فوقه راحت تتدفق الجيوش إلى قلب ألمانيا (وكان ذلك الكوبرى مزدوجا بطبقته . . . طريق للسيارات على دعائم خاصة وطريق للسكة الحديد على دعائم مجـــاورة) . ولم يبق فى جعبة ألمانيا (لتدمير ذلك الكوبرى) سوى سكورزنى ورجاله .

وانطلق رجال سكورزنى (من أفراد الضفادع البشرية) إلى هناك .

ولم تكن هناك بالقيادة الألمانية أى خرائط دقيقة لمجرى النهر ولذلك فقد اضطر سكورزنى إلى اعتصار البيانات اللازمة من ربان نهرى عجوز . وكان على رأس قوة الضفادع البشرية الكابتن هامل وهو فدائى كان قد سبق له أن أغرق وحده ما حمولته ٤٠ ألف طن من بواخر الحلفاء . وسبق هامل رجاله وسبح فى النهر حتى وصل فى الظلام إلى الكوبرى وشاهد دفاعاته القوية ضـــد

الهجوم الأراضى أو الجوى على السواء . وبعد أن أتم استكشافه عاد إلى رجاله .

وكان رجاله قد أعدوا بضع طوربيدات للعمل وأنزلوها إلى النهر . وعاد بهم (وكانوا ١٤ رجـــلا) هامل إلى الكوبرى وهم يدفعون الطوربيدات تحت الماء .

ووصلوا أخيراً إلى الكوبرى ، بعد أن جرح منهم إثنان حين انفجرت بجوارهم قنبلة سقطت — فيما يبدو — عفوا فى الماء .

وهناك وضعت الطوربيدات تحت الدعائم وألصقت بها ثم فتحت صماماتها وأخيراً أديرت أجهزة التفجير الموقوت . ثم تركها الرجال وانطلقوا عائدين بأقصى سرعة .

وانفجرت الطوربيدات لتحطم معبر السكة الحديد تماما ولتخرب قسماً كبيرا من معبر السيارات .. وأثار الانفجار ثائرة الانجليز فراحوا يطلقون النار على أى شىء يرونه فى الماء . وأصابت بعض الطلقات رجلين من رجال هامل وقتلتهما على الفور كما أن ضغط الماء الشديد الناتج عن القنابل (التى أطلقها الانجليز بكثرة على النهر) أجبر ثمانية من الرجال على الصعود إلى سطح الماء حيث أخذوا كأسرى . واستطاع هامل أن يعود بأربعة رجال .

وهكذا نجح رجال سكورزنى فيما عجزت عن تحقيقه عدة فرق وأسطول من الطائرات .

واضطرت كارثة تدمير الكوبرى الحلفاء إلى الانتظار حتى يتم إصلاحه وبذلك أعطت لألمانيا فرصة جديدة لتقوية دفاعاتها . كما أن نجاح الروس فى دفع الجيوش الألمانية إلى حدود ألمانيا قد أعطى هتلر فرصة لسحب عدد كبير من الفرق الألمانية من الجبهة الشرقية وتحويلها إلى الغرب فى مغامرة كبرى كانت مختمرة فى عقله حتى قبل أن تظهر مشكلة هنغاريا .

وكانت المغامرة من الخطورة والأهمية بحيث كان لابد لنجاحها من ورقة هتلر الرابحة ... سكورزنى .

الفصل العاشر

« العملية جريف »

بينما كانت معركة هتلر الهجومية الأخيرة (معركة النتوء فى منطقة الأردين) فى أوج احتدامها ، تقدم أربعة رجال يركبون عربة جيب إلى محطة تموين بالوقود كانت تقع فى غابات الأردين خلف خطوط الجيش الأول الأمريكى .

ووقفت العربة بجوار طلمبة بنزين ثم صاح السائق « بنزين من فضلك » .

وكانت تلك غلطة كبيرة .. فإن الجنود الأمريكيين لايقولون « بنزين وإنما يقولون « جاز » كما أنهم لايقولون أبداً « من فضلك » .. ولذلك فقد سألهم حكمدار المحطة « من أين أنتم ؟ » . ولم ينتظر السائق أكثر من ذلك بل ساق الجيب بأقصى سرعة . وانزلقت الجيب على الجليد من فرط سرعتها ثم انقلبت . وعندما أسرع الجنود الأمريكيون إلى إنقاذ ركاب الجيب فوجئوا بأنهم كانوا يرتدون ملابس الجنود الألمان تحت الملابس الأمريكية ، فقبضوا عليهم على الفور .

واستطاع ضابط مخابرات أمريكى أن ينتزع السر من فم أحد هؤلاء الأسرى بعد أن هدده بالإعدام إن لم يتكلم . وقال ذلك الأسير أن عربتهم كانت واحدة من عدة عربات جيب ولوارى ودبابات أمريكية يقودها جنود ألمان متنكرين فى ثياب أمريكية . وأن الهدف من تلك العملية كان هو اجتياح مقر القيادة العليا للحلفاء فى باريس وقتل أو اختطاف الجنرال ايزنهاور . ثم قرر أن قائد تلك العملية كان هو الكولونيل أوتو سكورزنى . وساد الفزع فى الخطوط الأمريكية كلها .. سكورزنى الذى أنقذ موسولينى واختطف نيكولاس هورتى فى طريقه لاختطاف الجنرال ايزنهاور .

ووقعت عدة مجموعات ألمانية من تلك القوة بعد ذلك فى يد القوات الأمريكية

وكان جواب الأسرى فى كل مرة « هدفنا هو اختطاف ايزنهاور وقائدنا هو سكورزنى » ولكن سكورزنى — فى الواقع — كان أبعد ما يكون عن التفكير فى خطف أو قتل ايزنهاور . وإنما كان مشغولا بعملية أخرى .

وقد بدأت تلك العملية باستدعائه إلى « عرين الذئب » . وهناك تلقى من هتلر التهنئة على نجاحه فى هنغاريا ، وعليها ترقية إلى رتبة كولونيل ، ومن فوقهما نيشان الصليب الألمانى ، وهو من الذهب الخالص .

ثم اصطحبه هتلر إلى غرفة الخرائط ، وراح يتحدث إليه ، فى لهجة المتآمر ، شارحا له الموقف . فقد كانت الجيوش الألمانية فى الغرب قد تراجعت إلى الحدود وكانت جيوش الحلفاء تدقها دقا عنيفاً وتدفعها شيئاً فشيئا إلى داخل ألمانيا ذاتها . وكان آخر شىء يتوقعه أى إنسان هو أن يتجه هتلر فى خلال تلك الظروف إلى الهجوم ثانية . ولكن هتلر كان يقصد القيام بلعبة سياسية أكثر منها حربية . وكان من رأيه أن الإنجليز والأمريكان كانوا غير مرتاحين إلى التقدم الروسى السريع داخل حدود ألمانيا الشرقية . وعليه فإنه لو استطاع أن يفاجئهم بضربة قوية فى مكان لا ينتظرون الهجوم منه أبدا فإنهم سيفيقون عندئذ إلى أنفسهم ويرحبون بالهدنة إذا عرضها عليهم . وبعد تلك الهدنة التى كان هتلر يهدف إلى الحصول عليها فى الجبهة الغربية فإنه كان يستطيع أن يحول القوات الألمانية المسلحة كلها إلى الجبهة الشرقية فيوقف تقدم الروس وقد يتمكن من معاودة غزو روسيا ذاتها .

وعن الخطة التكتيكية التى رسمها هتلر لذلك فإنها كانت تتلخص فى دق اسفين بين قوات مونتجومرى ومعها قوات الجيش الأول الامريكى وبين باقى الجيوش الأمريكية فى جنوب انتورب ببلجيكا . وعلى ذلك فقد كان غرض الهجوم الأصلى هو انتورب ذاتها . وقال هتلر انه كان ينتظر تلك الفرصة منذ نزل الحلفاء فى نورماندى . فقد طالت خطوط مواصلاتهم وأرهقت جيوشهم فى القتال العنيف الذى تلى ذلك . ومن الناحية الأخرى كان هتلر ينتظر وصول عدد كبير من المدافع والدبابات والطائرات النفاثة من المصانع ثم ختم الحديث بالكلام عن مهمة سكورزنى المنتظرة . . . فقد كانت أول عقبة ستصادف الجيوش الألمانية

بعد نجاحها فى سحق مقدمة جيوش الحلفاء هى نهر الميز . وكان من اللازم أن يضمن هتلر مقدما سرعة عبور جيوشه لذلك النهر حتى تتمكن من مطاردة الحلفاء وتحطيم خطوطهم الخلفية ، وكان السبيل الوحيد الى تحقيق ذلك هو الاستيلاء على كبارى نهر الميز قبل أن يتمكن العدو المنسحب من تدميرها . وكان ذلك هو واجب سكورزنى ، وعليه فقد أمره هتلر بالمبادرة بإعداد قوة تقدر بلواء مدرع ويتنكر أفرادها فى ثياب العدو ويركبون عربات ودبابات أمريكية من تلك التى سبق أن وقعت فى يد الجيش الألمانى . مثل تلك القوة كانت تستطيع أن تندمج فى قوات العدو المنسحب ثم تستولى على الكبارى وتحافظ عليها حتى تصل قوات المطاردة الألمانية .

وعلى تلك الخطوة بالذات كان يتوقف نجاح العملية بأكملها ولو استطاع سكورزنى أن يحققها لتمكن الجيش الألمانى المهاجم من شطر جيوش الحلفاء إلى شطرين أحدهما سوف ينحصر بين شمال انتورب والبحر والثانى بين جنوبها وبين الحدود السويسرية وأخيرا فقد كان على سكورزنى أن يرسل فى المقدمة بضع مجموعات استكشافية لتستكشف الموقف وتعمل على تدمير معنوية جنود الحلفاء .

وكان أول ماخطر ببال سكورزنى ساعتها هو أن كل جندى من جنود تلك القوة سوف يكون معرضا لمواجهة جماعة إعدام بصفته جاسوسا .

ولكن هتلر قال له أن جنود الكوماندو البريطانى سبق لهم استخدام نفس الخدعة ، كما أن بعض الجنود الأمريكان تنكروا فى ثياب ألمانية ، وكان ذلك فى منطقة آخن . ثم قال له هتلر « والآن فإنه سوف يمكننا أن نعطيهم جرعة قوية من نفس دوائهم » .

وأذن هتلر لسكورزنى بعد ذلك فى الانصراف ولكنه فاجأه وهو يصافحه قائلا يجب أن يتم تجهيز القوة قبل أول ديسمبر وعليك أن تبقى داخل الخطوط الألمانية ومحظور عليك بتاتا أن ترافق القوة داخل خطوط الحلفاء . فاننا لا نستطيع أن نجازف بفقدك » .

وخرج سكورزنى وهو يعتزم أن ينفذ كل أوامر هتلر فيما عدا الأمر الأخير . . . إذ لم يكن من المعقول فى نظره أن يترك جنوده وحدهم فى تلك العملية الخطيرة .

وكانت المدة الباقية أمامه لتجهيز القوة لا تتجاوز بضع أسابيع وعلى ذلك فانه قدر انها بالكاد سوف تكفى لاعداد قوة غير مكتملة التدريب والاستعداد. ولم يفته فى خلال الحديث مع هتلر أن يشير إلى ذلك ولكن هتلر صمم رأيه ولم يجد سكورزنى بدأ من الإستسلام .

ووجد سكورزنى نفسه بعد ذلك وهو يحارب فى جبهتين . فقد كانت كل القيادات والرئاسات على جهل تام بتلك العملية ولذلك فقد راحت الصعوبات تواجهه عند كل طلب وفى كل خطوة . وأدهى من ذلك أن الرجل الوحيد الذى كان يعلم بالموضوع، والذى كانت معونته مطلوبة إلى أقصى درجة كان هو الفيلد مارشال فون روندشتد الذى كان ضد الفكرة بأكملها ، والذى كان سيتولى قيادة الهجوم المنتظر على الأردن .

وكان فون روندشتد ، لا يؤمن أصلا بخطة هتلر وقد كان يصفها سرا بأنها « خطة حمقاء وغير معقولة » . وعند ما سئل فى محكمة نورمبرج - بعد الحرب - عن أسباب قبوله لقيادة ذلك الهجوم قال أن النظام العسكرى كان يحتم عليه إطاعة هتلر ثم عقب على تصرفات هتلر بأن الأخير كان يفرض رأية على الجميع ويتدخل فى كل صغيرة وكبيرة حتى أنه (أى روندشتد) كان مقيد اليدين بالدرجة التى كان فيها محروما من التصرف حتى فى تغيير حرسه الخاص ! ! ! .

وفيما يختص بسكورزنى فقد كان فوق روندشتد متأثرا أشد التأثر من أن هتلر تخطاه هو وأعطى الأوامر لسكورزنى شخصيا .

لكل تلك الأسباب فقد كان من الواضح لسكورزنى أنه لن يحصل على أى معونة جدية من فون روندشتد . ثم قامت القيادة العليا بعد ذلك بعمل أحمق . إذ أصدر القائد العام المارشال كيتل منشوراً بتوقيعه هذا نصه .

« سرى جدا . إلى قادة الجيوش والفرق فقط جميع الضباط .

وضباط الصف والجنود الذين يجيدون اللغة الانجليزية ويرغبون فى التطوع لمهمة خــاصة يقدمون أنفسهم إلى الكولونيل سكورزنى بمعسكر فريدنتال فورا ».

ولم يتمالك سكورزنى حين اطلع على ذلك المنشور ان ألقاه فى غضب على المكتب ثم راح يكتب إلى القيادة العليا طالبا إلغاء العملية بأكملها مادام سرها قد افتضح بتلك البساطة .

وعندما تلقى الجنرال فيجلين (ضابط اتصال قوات العاصفة) الذى كان متزوجا من شقيقة ايفا براون (عشيقة هتلر ثم زوجته فيما بعد) ذلك الطلب اتصل بسكورزنى تليفونيا وراح يرجوه فى سحبه قائلا « كيف يمكن إلغاء العملية بدون أوامر من الفوهور ؟ . وكيف يمكن أن نبلغه بغلطة القيادة العليا ؟ إنه سوف يعاقب الجميع عندئذ وأنت لا ترضى بذلك . . . انى أرجوك أن تستمر فى العملية » . . وأحرج ذلك الرجاء سكورزنى فقبل أن يسحب الطلب . على أن نفس الصورة من الحماقة والاهمال تكررت أيضاً فى القيادة العليا للحلفاء . فقد قرر الجنرال الأمريكى برادلى فيما بعد أن مخابرات الحلفاء حصلت فعلا على ذلك المنشور ولكن أحدا فى القيادة لم يعطه أدنى اهتمام ! ! ! .

وجاء المتطوعون أفواجا إلى فريدنتال وكانوا كلهم تواقين إلى المغامرة المنتظرة وان كان يجهلون ماهيتها . على أن الكثيرين منهم كانوا غير مستعدين للامتحان فى اللغة الانجليزية ! ! ولكن سكورزنى عثر مع ذلك على أكثر من مائة يجيدونها ، وكان من بينهم حوالى أربعين شخص كانوا قد سافروا إلى انجلترا وأمريكا وكانوا يجيدون الانجليزية إجادة تامة .

وبذلك تحدد حجم القوة وأخطر سكورزنى القيادة العليا بذلك .

وتلقى بعد ذلك كتيبتين كاملتين من الدبابات الأمريكية ومهمات أمريكية تكفى لكتيبة مظلات ومجموعة إشارة . ثم أضاف اليه أخيرا (من القوات الخاصة) ما يعادل كتيبتين ، وبذلك أصبحت لديه قوة ضاربه لا بأس بها .

ولتحقيق رغبة هتلر فى تجهيز قوة استكشاف مناسبة فقد جهز سكورزنى

سرية من الفدائيين الذين اختارهم من بين المجيدين تماما للغة الانجليزية .

وجاء من طرف القيادة محامى متخصص فى القانون الدولى وراح يحاضر الجنود فى قوانين الحرب مؤكدا أنها لا تحرم على الجندى أن يتنكر فى ثياب العدو طالما أنه لا يقاتل أو يطلق النار وهو يرتديها وكان سكورزنى يأمل أن يكون الأمريكان بدورهم على علم باحكام تلك القوانين حتى لا يعدموا الجنود إذا وقعوا فى أيديهم .

وأرسل سكورزنى عدداً من المتطوعين إلى مدرسة للترجمة حتى يزيدوا من قدرتهم على التكلم بالانجليزية ثم حول البعض الآخر إلى معسكرات الاسرى الأمريكيين (بصفتهم أسرى بدورهم) لكى يتدربوا على اللهجة والاصطلاحات الأمريكية ولكن الأسرى الأمريكيين اكتشفوا حقيقة معظمهم وأخذوا حذرهم منهم ، بل أن بعضهم لم يتردد حين ضبط أسيرا مزيفا فى أن يعطيه علقة ساخنة .

ولم يجد سكورزنى بدأ فى النهاية من أن ينصح الرجال الذين كانت لغتهم غير مؤكدة السلامة ، بأن يتظاهروا وهم سائرون بين الخطوط الأمريكية بأنهم مذهولين ومصابين بصدمة القنابل مما قد يعد عذرا كافيا للواحد منهم على الصمت.

ولكن بقى بعد ذلك عليه أن يدربهم على أمر صعب . . . بقى عليه أن يدربهم على هجر الأسلوب البروسى الجامد . ذلك الأسلوب الذى يطبع الجنود بطابع النظام المطلق والطاعة العمياء اللذين لا وجود لهما بين الجنود الأمريكيين

فراح يدربهم على مضغ اللبان والتهاون فى تأدية التحية وتجاهل تأدية التحية فى بعض الأحيان والسير وأيديهم فى جيوبهم .

ومع ذلك فقد كان الرجال ينسون تلك التعليمات وينتفضون واقفين فى حركات عسكرية شديدة كلما ظهر سكورزنى بينهم ! ! ! ! .

ونقل سكورزنى القوة الجديدة كلها إلى معسكر خاص قرب نورمبرج (حوالى ٣٥٠٠ ضابط وجندى) وهناك نظمهم فى تشكيلات قتال أمريكية .

وهناك راح يطلب ٣٠ دبابة شيرمان و ٣٠ عربة مدرعة ، وعربات نقل

جند تكفى لثلاثة كتائب سرايا ومدافع مضادة للدبابات وسرية مدافع مضادة للطائرات .

ولكنه لم يحصل إلا على القليل لأن التقهقر الذى كان يسود الخطوط الألمانية لم يكن ليعطى للألمان فرصة للحصول على تلك الدبابات والعربات والمدافع الخ .

وكان كل ماتلقاه من الدبابات هودبابتين شيرمان . فتحول عندئذ إلى الدبابات الألمانية وراح يجهزها ويعدل فى شكلها الخارجى بألواح من الصفيح حتى تصبح شبيهة بالدبابات الأمريكية . أما عن العربات فإنه يتلق منها أكثر من ستة . وحين احتج على تلك الكمية القليلة جاءته ٤ عربات أخرى ولكنها كانت انجليزية ، ولم يتردد سكورزنى فى قبولها على اعتبار أن ظهورها فى الخطوط الأمريكية أمر ممكن ولا يحتمل الشك فيه (وقد ثبتت صحة نظريته حين مرت تلك العربات فيما بعد بسلام بين الخطوط الأمريكية) ولكى يكمل العدد اللازم من العربات راح يعدل فى الشكل الخارجى للعربات الألمانية حتى تشبه العربات الأمريكية .

وعن العربات الجيب فقد كان العدد الموجود منها — فى الجيش الألمانى — كبيرا ولكنها كلها كانت مخصصة للضباط ولذلك فانه ماكادت الاوامر تصدر بجمعها وتحويلها إلى سكورزنى حتى اختفت جميعها ، ولكن رادل راح يبحث عنها بحمية حتى عثر على ١٥ جيب من هنا وهناك . وجاءت المدافع ولكن بعدد يقل عن نصف المطلوب . وجاءت الذخائر (التى انفجرت بعضها عند انزاله من القطار بسبب جهل الجنود بطريقة حملها) .

وفى النهاية كانت الوحدة الوحيدة التى أمكن تجهيزها بملابس ومعدات أمريكية كاملة هى سرية الاستكشاف فقط . وتلقى سكورزنى بعد ذلك حمولة كاملة من الملابس وعند فتح صناديقها اتضح أنها كلها انجليزية . ثم جاءت سترات الميدان الأمريكية أخيرا ولكنها كلها كانت مزودة برقعة على الظهر مطبوع عليها كلمة « أسير حرب » ! ! واستغرقت إزالة تلك الرقع وقتا طويلا .

وفى مواجهة كل احتجاج وكل استعجال للمهمات أو الأسلحة كان سكورزنى يتلقى ردا واحدا « لماذا هذا القلق ! أن كل المطلوب سيتوفر لديك بمجرد بدء الهجوم . فسوف تقع فى أيدينا وحدات أمريكية كاملة» ! ! وهكذا كانت القيادة الألمانية تبيع جلد الدب قبل صيده .

ولم يستطع سكورزنى أن يعثر على ملابس أمريكية تناسب جسمه الهائل .

وبدأت الإشاعات بعد ذلك تنتشر فى المعسكر . فانك لاتستطيع أن تحتجز عدة آلاف من الرجال وتحرم عليهم الخروج من المعسكر وتراقب رسائلهم وتخضعهم لتدريب غريب عنهم ، ثم تضمن سكوتهم بعد ذلك .

وكان الرجال يتناقلون تلك الإشاعات بغاية السرعة ... منها إشاعة كانت تقول بأن المهمة المنتظرة كانت هى أقتحام خطوط الحلفاء والمبادرة بإنقاذ الحاميات الألمانيه المحاصرة فى برست ولورينت ومنها إشاعة وصلت إلى سكورزنى عن طريق ضابط صغير جاء يقول له « أننى أعرف باريس معرفة كاملة ، وأنا على إستعداد لبذل كل معاونة فى المهمة ، فسأله سكورزنى « أى مهمة ؟ ماذا تعرف عنها » وفى ثقة ويقين أجاب الضابط « مهمة أقتحام القيادة العليا للحلفاء فى باريس والقبض على ايزنهاور طبعاً » .

ولم يجد سكورزنى أى فائدة فى تكذيب تلك الإشاعات فقد كان كل تكذيب يزيدها قوة ويضاعف من سرعة أنتشارها ولذلك فقد راح يستسلم لكل أشاعة ويغمز بعينيه لكل من يسأله عن أحداها تاركا أياه ليستنتج ما يشاء وهذا هو مافعله يوما مع ذلك الضابط فغمز له بعينه فى مكر ثم هتف به « أياك أن تقول لأحد عن ذلك شيئاً ... وفى الوقت المناسب سوف أطلبك » .

وفى اليوم التالى كانت تلك الإشاعة بالذات تجتاح المعسكر كاللهيب « أننا سوف نخطف ايزنهاور ... سوف نخطف ايزنهاور » وكان أقوى الدوافع إلى تصديقها هو سمعة سكورزنى السابقة فى الخطف ، كما أنها كانت تتفق مع الإسم الكودى للعملية « جريف » الذى كان يعنى فى الأساطير اليونانية اسم طائر من الجوارح ولكن كان من الممكن تفسيره بأنه الخطف أيضا لأن الجـــوارح تعيش على الخطف .

ولم يحاول سكورزنى إنكار هذه الإشاعة ، فقد رأى فى تلك الإشاعات المتضاربة وخاصة فى إشاعة خطف ايزنهاور فرصة لإرباك مخابرات الحلفاء إن هى سمعت بها وتحويل أنظارها عن العملية الحقيقية .

وكان الموقف عندما بدأ الإستعداد النهائى للهجوم الألمانى على الأردين فى غاية السوء . فقد حطمت غارات الحلفاء الساحقة معظم المصانع التى كان هتلر يأمل فى الحصول منها على ستة آلاف مدفع وألف دبابة وثلاثة آلاف طائرة نفاثة لكى يخترق بها خطوط الحلفاء .

وظهرت تلك الحقائق واضحة لسكورزنى فى خلال ثلاثة اجتماعات حضرها فى برلين فى دار المستشارية التى كان هتلر قد أنتقل إليها بعد أن نجح الروس فى اقتحام بروسيا الشرقية والإستيلاء على « عرين الذئب » .

وقد اضطر هتلر بسبب نقص الموارد إلى تأجيل موعد الهجوم مرتين .

وفى الإجتماع الأخير الذى تحدد فيه الموعد النهائى كان الجميع فى حالة معنوية سيئة .

وكان فون روندشتد (القائد العام للهجوم المنتظر) بجاس وعلامات اليأس تبدو بوضوح على وجهه بينما كان الخبراء يطمئنونه على كل شىء قائلين « أن الصاروخ رقم ٧١ أثبت نجاحه وصار تصويبه أدق من الأول بكثير وسوف يقوم لك بدور المدفعية التى تنقصك . أما كل الأسلحة والمواد الناقصة فسوف تتوفر لك من عتاد الحلفاء الذى سوف تحصل عليه بعد نجاح الإقتحام الأول بما فى ذلك الوقود » وكان فون روندشتد على حق فى يأسه إذ لم يكن فى يديه ، على سبيل المثال ، أكثر من ½ كمية الوقود اللازمة للهجوم ، أما الثلاثة آلاف طائرة نفاثة التى كان هتلر قد وعده بها فلم يكن جاهزاً منها سوى ثلاثمائة وخمسين فقط .

وبدأ الهجوم فى فجر ١٦ ديسمبر وكانت المفاجأة كاملة . واستطاعت الغارات الألمانية على المطارات الأمريكية كما استطاع الضباب الذى كان يسود المنطقة أن يحولا بين الطيران الأمريكى وبين التصدى لذلك الهجوم . أما الجليد فعطل تحرك احتياطى الأمريكان إلى الأمام .

وتقدمت مجموعات سرية الاستكشاف التابعة لسكورزنى فى عربات الجيب مع مقدمة جيش البانزر الأول وكان عليها بعد أن تتسرب من خط الدفاع الأمريكى أن تتفرق فى مجموعات استكشافية .

أما باقى القوة فكان عليها أن تنتظر فى نقط وثوب حتى تتمكن الدبابات من اختراق الخط ثم تنطلق بسرعة نحو الخطوط الخلفية وتؤدى مهمتها هناك .

أما أهم أمر أصدره سكورزنى فكان هو عدم اطلاق النار ، فكل واجب القوة كان هو احتلال كبارى نهر الميز بصفتها قوة أمريكية وفى خلال الإرتباك المنتظر أثناء الإنسحاب فإن ذلك كان أمراً سهلا ولا ينتظر أن تحدث فيه صعوبات تدعو إلى أطلاق النار .

وفى البداية كان الهجوم من النجاح بحيث حقق كل آمال هتلر فيه ، فيما عدا أن الأمريكان لم يستديروا هاربين ، وذلك بالرغم من أن فون روندشتد استطاع أن يخترق خطوطهم لمسافة خمسين ميلا فى اتجاه نامور . وجاءت معركة باستونى التى استطاعت فيها القوات الأمريكية أن تحتفظ (فى مواجهة هجوم روندشتد العنيف) بمفارق الطرق حتى وصلت دبابات الجنرال باتون لنجدتها .

أما عملية سكورزنى . . . العملية جريف فكان عليها أن تبدأ بعد ساعة الصفر ، عندما يتمكن الجيش الألمانى من اختراق الخط الأمريكى .

وكان من المقرر أن تبدأ العملية « جريف » بعد ساعة الصفر مباشرة . ولكن اختراق الخط الأمريكى تعطل ٢٤ ساعة لشدة مقاومة الأمريكان ، ولذلك فقد أضطر سكورزنى أن يستبق القـــوة الرئيسيه وأن يبعث فقط بمجموعات الاستكشاف ، ولما تأخر فتح الثغرة أكثر من ذلك رأى سكورزنى أن استمرار العملية لم يعد ذا جدوى خصوصاً عندما جاءته المعلومات بأن الاحتياطى الأمريكى يتقدم بسرعة إلى الخطوط الامامية . فقد كان قيام القوة بواجبها فى احتلال كبارى نهر الميز أمراً ممكنا فى حالة انسحاب الأمريكيين أما وهم يتحركون إلى الأمام باحتياطيهم فان محاولة الاستيلاء على الكبارى تعد انتحارا لاشك فيه . . . ولذلك فقد أمر سكورزنى كل القوة بالغاء تنكرها والإنضمام كقوة مقاتلة إلى الجيش وخصص لها واجب تأمين الجناح الشمالى للهجوم الألمانى .

وراح سكورزنى ينتقل يوما بعد يوم من نقطة إلى أخرى ويقود رجاله كمقاتلين نظاميين عاديين .

وفى يوم ٢١ ديسمبر أبلغه أحد ضباطه بأنه استطاع أن يتسرب إلى مدينة مالميدى وأنه وجدها محاطة بخط دفاعى ضعيف ، فرأى سكورزنى فى ذلك فرصة لإحتلال المدينة ووجه إليها هجومين شديدين بقوته . ولكن المدافعين عن المدينة أوقعوا بالقوة خسائر شديدة وفشل الهجومان. وكان آخر العائدين من المعركة هو فولكسرام الذى أصيب بجرح خفيف . أما سكورزنى فأصيب بدوره فى عينه اليمنى وما كاد يضمدها حتى عاد إلى رجاله ليجد أن بطارية من المدفعية الثقيلة قد جاءت لتنضم إليه . ورأى سكورزنى أن فى حضور البطارية فرصة عظيمة لدق دفاعات مالميدى والعودة للهجوم عليها . ولكن قائد البطارية خيب آماله حين صارحه بأنه لايوجد لديه من الذخيرة سوى ١٦ طلقة لكل مدفع .

وكان ذلك فى يوم عيد الميلاد .

وفى ٢٨ ديسمبر أعيدت قوة سكورزنى إلى الخلف للراحة وإعادة التنظيم .

ولكن الهجوم الألمانى كان قد فشل كله بسبب شدة مقاومة الأمريكان وبسبب تحسن الجو الذى أتاح لهم إطلاق طائراتهم بكميات كبيرة على القوات الألمانية .

وتحول هجوم الأردن بعد ذلك إلى انسحاب كامل مع ضياع ½ مليون ألمانى ما بين قتيل وجريح وأسير .

ولكن ما الذى حدث لمجموعات الاستكشاف التى دخلت بين الخطوط الأمريكية متنكرة فى ثياب ومعدات أمريكية ؟

لقد نجحت المجموعة الأولى فى الوصول إلى مفترق طرق يقع فى منتصف الطريق بين لييج ونامور ونجحت فى الإندماج فى طابور أمريكى واستطاع قائد المجموعة أن يخدع الأمريكان بلهجته الأمريكية . ثم التقت بعد ذلك بآلاى مدرع كان فى طريقه إلى الجبهة . وصاح قائد المجموعة بقائد الآلاى ، أنك لاتستطيع التقدم من ذلك الطريق ، ثم أعطاه طريقا يصل به إلى الجانب الآخر من بلجيكا !! ولم يتردد قائد الآلاى فى تصديقه والأخذ بنصيحته — بعد أن شكره — . ونجحت مجموعة أخرى فى التسرب واندفعت بسرعة إلى الأمام

وإذا بها تصل فجأة إلى موقع دفاعى كانت تحتله سرية أمريكية . وراح الجنود الأمريكان يسألون رجال المجموعة «مم تجرون يا أخوان؟» ، فصاح بهم قائد المجموعة « البدار يارجال بالهرب .. لقد اخترق الألمان خطوطنا فى كل مكان » ولم تتردد السرية بأكملها عندئذ فى الهرب بأقصى سرعة .

وهكذا راحت مجموعات سكورزنى تتحرك بحرية تامة بين الخطوط الأمريكية وتوجه الأمريكان إلى وجهات خاطئة وتقطع خطوط التليفون والتلغراف وتعلق علامات تحذير (زائفة) من الألغام .

ولكن التدمير المعنوى الذى أحدثته تلك المجموعات كان يفوق بكثير التدمير المادى . فبعدما أنقلبت العربة الجيب (التى روينا قصتها فيما سبق) وقبض على رجالها واعترف أحدهم بأن هناك مجموعات أخرى مماثلة وأن الغرض منها هو مهاجمة القيادة العليا للحلفاء وخطف ايزنهاور ... بعد ذلك سادت موجات الفزع بين صفوف الحلفاء وانعدمت الثقة بين الجنود الأمريكان وبعضهم وتلت ذلك موجة من الاضطراب كان أوضح مظاهرها هو إلقاء القبض على مئات ومئات من الضباط والجنود لمجرد الاشتباه فى أنهم من قوة سكورزنى .

وقد أعلن راديو كاليه ذات يوم أنه تم القبض على مائتين وخمسين من الألمان المتنكرين فى ثياب أمريكية بينما الواقع هو أنه لم يكن من بين المائتين والخمسين أكثر من ١٠ من الألمان !!!

وبعد الحرب إلتقى سكورزنى بعدد من ضحايا ذلك الموقف . منهم كابتن أمريكى قضى فى السجن أسبوعا بسبب ارتدائه لحذاء ألمانى كان قد غنمه من الجبهة . ومنهم ضابطان من ضباط أركان الحرب كانا (بحكم معيشتهما فى مقر القيادة فى الخلف وتعودهما على تناول الطعام الطازج فى الميس) يجهلان مدى ضيق الضباط فى الجبهة بالطعام المحفوظ . ولذلك فقد راحا ، وهما يتناولان الطعام المحفوظ مع ضباط وحدة أمامية كانا يزورانها) يطريان ذلك الطعام . ولم يتردد ضباط الوحدة فى القبض عليهما . وتناول الرجلان وجبتهما التالية من الطعام المحفوظ فى السجن .

وأصدرت قيادة الحلفاء التحذير التالى « أوتو سكورزنى ، إخصائى ألمانى فى خطف وذبح الشخصيات الهامة ، فى طريقه الآن إلى مقر القيادة العليا للحلفاء ومعه أكثر من مائتى جندى ألمانى متنكرين فى ثياب أمريكية ويركبون عربات أمريكية ، وهدفهم هو أغتيال أو خطف الجنرال ايزنهاور . وهناك طوابير أخرى مماثلة فى طريقها إلى الفيلد مارشال مونتجومرى والجنرال برادلى فليأخذ الجميع حذرهم !! » .

وذاعت بعد ذلك إشاعات اضافية تقول بأنه يجب الحذر من هؤلاء الرجال لأنهم يقذفون بمسحوق كاوى فى وجه كل من يقترب منهم وتقول بأن بعضهم لايحمل قرص تحقيق الشخصية المعدنى وعليه فانه يجب الحذر عند تفتيشهم بحثا عن ذلك القرص وإلا قذفوا بمسحوقهم الكاوى فى الوجوه . . وصار الجيش الأمريكى كله (بل جيوش الحلفاء كلها) ينتظر ظهور سكورزنى برجاله فى أى لحظة ، وساد الشك بين الجميع . وكان تعليق الجنرال برادلى على ذلك الحال هو « لقد أصبحت اللعبة المفضلة بين كل أمريكيين يتقابلان فى أى مكان هى لعبة القط والفأر » وكان ذلك صحيحا لدرجة أنه هو نفسه عاش تحت حراسة مشددة حرمته فترة طويلة من التحرك لزيارة قواته فى الخطوط الأمريكية . وحدث مثل ذلك للجنرال هودجز ، ولكثيرين غيرهما من قادة الحلفاء .

أما ضباط الأركان الحرب الذين كانوا يكلفون بتبليغ الأوامر شخصيا الى الوحدات ، فكانوا يعانون الأمرين من نقط التفتيش الكثيرة التى كانت تكتظ بها الطرقات . ولم يكن الجنود الأمريكان فى تلك النقط يثقون فى تصاريح المرور وبطاقات تحقيق الشخصية ولا حتى فى كلمات المرور الكودية التى كان يحملها هؤلاء الضباط . وطالما اضطر الضابط منهم الى سرد تاريخ حياته كلها والى وصف المدينة التى ولد فيها بكل تفاصيلها حتى يتمكن من المرور من نقطة لأخرى .

وحتى الجنرال برادلى نفسه وقع فى ذات المشكلة حين خرج يوما للمرور على قواته فاحتجزته احدى النقط أكثر من ساعة وراح رجالها يفحصونه من الرأس الى القدم بغير أن تقنعهم نجوم الجنرالية أو أوراق تحقيق الشخصية بأنه

أمريكى وحتى احتجاجاته لم تؤثر فيهم ولم يتركوه إلا بعد امتحان مرير قرر فيه أن سبرنجفيلد هى عاصمة ولاية ماساتشوستس وأن أحب النجوم اليه هى بيتى جرابل !! .

وكان مونتجومرى يحتل بقواته جزءا من الخط الأمريكى ولذلك فقد تعرض رجاله لنفس المشكلة وإنما بصورة ألعن . فقد كان ضباط الاتصال من رجال مونتجومرى يفاجأون فى الطرقات بالجنود الأمريكيين وهم يستوقفونهم تحت تهديد السلاح صائحين « من الذى وقع وثيقة الاستقلال ؟ !!! أين تقع كونى ايلاند ؟ » وكان الضباط الانجليز يعجزون بطبيعة الحال عن اعطاء الإجابات الصحيحة فيقبض الأمريكان عليهم فورا .. وعندما كانوا يحتجون على اتهامهم بأنهم ألمان كان بعض الجنود الأمريكان الأذكياء يقهقهون ساخرين ، لأن المعلومات جاءتهم بأن بعض الألمان قد تنكروا فى ثياب بريطانية !!!! حتى مونتجومرى لم يفلت من الشبهة لأن اشاعة أخرى كانت قد ذاعت بأن سكورزنى قد خصص واحدا من رجاله يشبه مونتجومرى ويرتدى ملابس مماثلة لملابسه ويركب عربة شبيهة بعربته لكى يدور على الوحدات بحجة التفتيش أو الزيارة !!! .

ولم تنج باريس من ذلك الفزع . . . أليست نقطة التقاء قوات سكورزنى (كما أكدت المخابرات) هى مقهى « كافيه دى لابيه » ؟ ؟ وعليه فقد أحيط المقهى بقوات هائلة من المشاة والدبابات . ولكن كيف يمكن التعرف على سكورزنى ورجاله ما داموا يرتدون الملابس الأمريكية ويشبهون بذلك الآلاف من الضباط والجنود الأمريكيين الذين كانت تعج بهم باريس ؟؟ إذاً فليعلن حظر التجول ابتداء من الثامنة مساء، لعل الألمان يدخلون بعد ذلك الموعد ويظهرون فى الشوارع الخالية !!! .

ولكن ما العمل إذا جاءوا بالنهار ؟ ؟ بل ما العمل إذا كانوا موجودين فعلا فى باريس ؟؟

وكان العمل هو تفتيش كل أمريكى بواسطة البوليس الحربى وما أكثر المهازل بل والمآسى التى حدثت بسبب ذلك من قبض وتحقيق واستجواب .

وفوق ذلك كله ظهرت اشاعات عن اسلحة سرية فتاكة يحملها سكورزنى وجنوده مثل قنابل يدوية تطلق من المسدسات او المسحوق الكاوى (اياه) الخ. ولحساب سكورزنى أضيفت يومها ترسانة كاملة من الرعب .

أما الجنرال ايزنهارر (الذى كان متعودا على الخروج بصحبة ضابط واحد أحياناً لحراسته وأحيانا بصحبة مراسلة فقط ، والذى كان يقيم فى راحة بفيلا فى ضاحية سان جرمان التى تبعد نصف ساعة عن باريس) فقد اضطره ضباط الأمن الى الانتقال قسرا الى مقر القيادة العليا فى فرساى وخصصوا له قصر التريانون . وأحال ضباط الأمن فرساى الى قلعة كاملة فأحاطوها بالأسلاك الشائكة المزدوجة ووزعوا نقط الحراسة على كل متر فيها وضموا عددا من الدبابات الى الحراسة . وضاعفوا قوة الحراسة الى ضعفين ثم الى ثلاثة ثم الى أربعة أضعاف وتحول نظام المرور والدخول والخروج الى مسألة موت أو حياة بدلا من الروتين السهل المألوف . وكان صوت فرقعة العادم من شاكمان أى سيارة جديراً بإيقاف العمل فى المكاتب فورا وتحول الجميع الى اسلحتهم يمسكونها ويصوبونها من الأبواب والنوافذ والشرفات ، وبعد ذلك تتوالى دقات التليفونات وتأتى عبر الاسلاك الأسئلة الملهوفة « هل القائد العام بخير ؟ » .

أما أيزنهاور ذاته فكان غير مهتم بذلك كله بقدر اهتمامه بمعركة النتوء فى الأردين ولكن ضباط الأمن كان لهم رأى آخر فنقلوه — بعد أن وسطوا أصدقائه فى الأمر — الى مبنى منعزل كانوا يرونه بعيدا عن متناول الألمان ، الذين كانوا يعرفون كل شبر فى قصر التريانون بحكم سابق اقامة فون روندشتد فيه أثناء احتلال الالمان لباريس .

وبكل معنى الكلمة كان ايزنهاور سجينا فى مقر قيادته .

وفى ذلك كتب الملازم كاى سموسى (ياور ايزنهاور) يقول « انى عشت تلك الأيام مستيقظا معظم الليل . وحتى فى الساعات القليلة التى كنت أختطف فيها النوم اختطافا فاننى كنت أحلم بالموت أو بما هو أشد منه على يد الالمان المنتظرين ! ! .

وفى يوم ٢٢ ديسمبر تلقى ايزنهاور تبليغا من المخابرات بأن سكورزنى

ورجاله موجودون فعلا فى باريس فصاح غاضبا ، الى جهنم . . . اننى سأنزل لأتمشى . وإذا كان هناك من يريد أن يطلق على النار فليتفضل ، ونزل أيزنهاور فعلا ليتمشى ولكنه لم ينعم بتلك الرياضة لان الحراس كانوا يحيطون به من كل جانب .

وفى الوقت الذى كان فيه ايزنهاور سجينا بتلك الصورة كانت المخابرات الامريكية تقوم بلعبة أخرى . فقد استخدمت الكولونيل بالدوين سميث الذى كان يشبه ايزنهاور كطعم لسكورزنى . فكان بالدوين يتحرك يوميا مابين سان جرمان (حيث كان يقيم ايزنهاور) وما بين مقر القيادة فى فرساى وهو ينتظر فى كل لحظة أن يتلقى فى صدره رصاصة .

وخرج ايزنهاور من سجنه فى يوم ٢٧ ديسمبر لكى يعقد مؤتمرا هاما مع مونتجومرى فى بروكسل . ومع ذلك فان ضباط الأمن لم يرحموه طوال الطريق . وما كاد يتنفس الصعداء عند وصوله الى بروكسل حتى فوجىء بمضاعفة الحراسة عليه هناك لأن المخابرات تلقت معلومات بأن سكورزنى كان فى طريقه الى مقر الاجتماع فى بروكسل وهو بملابسه الألمـــانية الرسمية ومن حوله ضباط ألمان متنكرين فى ثياب ضباط بريطانيين ومتظاهرين بأنهم قبضوا عليه ، وعندما يصلون الى مقر الاجتماع لتقديم أسيرهم الى ايزنهاور ومونتجومرى فان النتيجة تكون معروفة ! !

ولم يتنفس ضباط الأمن الصعداء إلا بعد أن أعادوا سجينهم (ايزنهاور) بسلام الى فرساى .

ولمدة شهور بعد معركة الأردين ظل رجال البوليس الحربى يحملون صورا لسكورزنى ، ويقارنون بينها وبين كل رجل يشبهه ولو قليلا فى جسمه العملاق أو وجهه المجروح ، بينما كان البوليس الفرنسى بأكمله يدور باحثا عنه فى كل مكان .

ولم يذع الحلفاء شيئا عن القصة إلا بعد الحرب . وعندئذ راحت الصحف تتفجر بآلاف التفصيلات والمبالغات .

وإذا كان الحلفاء (وصحافتهم فيما بعد) قد قدروا عدد رجال سكورزنى فى

تلك العملية بعدة آلاف ، فان الواقع يقول أن عدد رجال المجموعات التى عبرت الخطوط وأحدثت كل ذلك الذعر والاضطراب لم يزد عن ٢٨ رجلا .

وفى ليلة عيد الميلاد كان سكورزنى يلتقى بهتلر فى مقر القيادة المؤقت (الذى كان قد أقيم فى غابات الأردين لقيادة المعركة) وأنقذت تلك المقابلة عين سكورزنى (التى كانت قد أصيبت فى معركة مالميدى) من الضياع . إذ ما كاد هتلر يشاهده حتى هنأه على جهوده فى مالميدى فقد استطاع بهـا أن يؤمن الجناح الشمالى للجيش الألمانى من الهجوم المضاد (وإن كان قد فشل فى الاستيلاء على المدينة) ثم أحاله على الفور الى جراحه الخاص ، الذى قضى بعد ذلك عدة ساعات فى اجراء عملية دقيقة فى عينه . ونجحت العملية وشفيت عينه .

وفى مستشفى الميدان الذى رقد سكورزنى فيه بعد العملية التقى بصديقه الدكتور رودلف براندت الذى كان من أطباء هتلر الخصوصيين . وقد روى له براندت يومها كيف أن هتلر قد أصبح يعيش على الأدوية المنبهة وكان ذلك هو السر فى ابتهاجه الذى كان يحير ضباطه وحاشيته ، فى وقت كان قد خسر هو فيه معركته الأخيرة . وكان الكثيرون منهم يفسرون ذلك الابتهاج بأنه يرجع الى أسلحة سرية عجيبة كانوا يتصورون أنه قد جهزها للمعارك القادمة .

وغادر سكورزنى المستشفى فى نفس الليلة عائدا الى جنوده بعد أن اعتذر عن قبول دعوة المارشال كيتل الى العشاء . وفى الطريق سمع أجراس عيد الميلاد وهى تدوى من كل مكان .

وفى تلك اللحظة كان كل ألمانى يدرك أن بلاده قد خسرت الحرب ووجد سكورزنى الدليل على ذلك عندما وصل الى مقر قيادته فهناك كان فولكسرام فى انتظاره وفى يده ورقة قدمها اليه وهو يقول «أن قوتنا قد تحطمت وفى فريدنتال لن توجد فرص لمغامرات جديدة » وأمسك سكورزنى بالورقة وقرأ فيها « اننى التمس الالتحاق بالجبهة الشرقية » .

الفصل الحادي عشر

مغامرات جيرج ، وأدوية لبودابست

في يوم ١٨ يناير سنة ١٩٤٥ كانت مدينة هوهنزالسا واقعة تحت تهديد هجوم روسي عنيف . وكانت الأوامر تقضي بالدفاع عنها لآخر رجل .

وكانت أهميتها تكمن في أنها كانت تسيطر على رأس الطريق بين بولندا وبروسيا .

وكانت حاميتها تتكون من ألف رجل فقط .

وسمع سكورزني بأمرها وبحاجة الحامية إلى الذخيرة فهرع إليها ومعه بضع لواري محملة بالذخيرة . وهناك سمع بأن فولكسرام قد فقد في معركة على الجبهة الشرقية التي كان قد انضم إليها حين رأى أن دور القوات الخاصة في الحرب قد انتهى .

وتوالت أنباء الخسائر في رجال القوات الخاصة الآخرين الذين كانوا قد انضموا بدورهم إلى القوات المقاتلة في الشرق .

وجاءته ، بعد ذلك على غير انتظار ، مهمة خطيرة .

فقد كان أحد الضباط الألمان (الكولونيل شيرهورن) قد استطاع أن يجمع بضع وحدات متناثرة من القوات الألمانية المنسحبة في روسيا وأن يتخذ بها موقعا دفاعيا قرب مدينة مينسك وأن يستمر القتال لمدة ثلاثة أشهر متتالية .

والآن جاءت رسالة من القيادة العليا تدعو سكورزني إلى انقاذ شيرهورن ورجاله من الفخ الذي كانوا يعيشون فيه . وقبل سكورزني الدعوة مقدرا أنه لا يجوز أن يترك ضابط شجاع كشير هورن في مثل هذا الموقف الخطير كما أن انقاذه كان جديرا برفع الروح المعنوية في ألمانيا ، التي كانت قوات الغزو تخترقها من الشرق ومن الغرب .

وفي فريدنتال استطاع أن يجمع بعض المتطوعين ، وأن يزودهم بأسلحة وملابس روسية ، وكذلك بأوراق تحقيق شخصية بأسماء روسية .

وكان من بين المتطوعين ثمانية من الألمان الذين جاءوا من مقاطعات قريبة من بحر البلطيق ولذلك فقد كانوا يجيدون التحدث بالروسية

وقسم سكورزنى القوة إلى ٤ مجموعات وزود كل مجموعة بعامل إشارة وجهاز لاسلكى وتقرر أن تهبط المجموعات واحدة تلو الأخرى إلى موقع شيرهورن (الذى كان يقع على بعد مئات من الأميال خلف الخطوط الروسية) بالمظلات. وتحركت المجموعة (أ) فى الغروب بالطائرة. وبعد ٥ ساعات جاءت منها رسالة تقول« نزلنا بصعوبة .... رأتنا العدو ... العدو يطلق علينا نيران الرشاشات » ثم صمت تام بعد ذلك .

وتلتها المجموعة (ب) .... ولم تصل منها أى رساله لمدة ٥ أيام ثم وصلت فجأة رسالة من شيرهورن ذاته يعلن فيها وصول المجموعة إليه ويبعث بشكره .

وطارت المجموعة (ج) وانقطعت أنباؤها بعد ذلك تماما .

أما المجموعة (د) فهبطت بسلام ولكنها عجزت عن العثور على موقع شيرهورن فعادت سيرا على الأقدام إلى ألمانيا ووصلت سالمة بعد أن تظاهر رجالها طوال الطريق بأنهم من جنود الجيش الروسى . وقد استطاع قائدها أن يدخل ميس كتيبة روسية ويتناول فيها عشاءاً طيبا ثم يخرج بسلام .

أما عن قوة شيرهورن فقد كان رجالها يتساقطون بفعل المرض ونيران القوات الروسية . وكانت خطة سكورزنى لإنقاذهم تتلخص فى قيامهم بتمهيد مطار داخل موقعهم حتى تتمكن الطائرات من النزول إليهم لتحملهم إلى الوطن ولكن رجال شيرهورن كانوا من الضعف بحيث عجزوا عن أداء العمل الشاق المطلوب لتمهيد المطار .

وطلب شيرهورن طبيبا لعلاج رجاله . فأرسل إليه سكورزنى طبيبا هبط بالمظلة ولكن ساقاه كسرتا أثناء الهبوط . فأرسل بعده طبيبا آخر تمكن من النزول بسلام وأقام فى الموقع مستشفى ميدان وراح يعالج الرجال. ولم يهدأ سكورزنى ولم ييأس فراح يجمع المواد اللازمة من أسلحة وذخيرة وملابس وأدوات طبية ويرسلها إلى شيرهورن الذى استطاع بكل ذلك أن يستمر فى المقاومة .

ولكن الروس تنبهوا إلى تلك الإمدادات فراحوا يترصدون للطائرات ويطلقون عليها النار ويسقطون بعضها .

وأخيراً ظهرت بادرة أمل فقد لاحظ سكورزنى على الخريطة أنه توجد شمال مينسك بحوالى ٢٠٠ ميل مجموعة من البحيرات . ولما كانت مياه البحيرات متجمدة فى ذلك الوقت فقد رأى سكورزنى أنه من الممكن نزول الطائرات على الجليد هناك . فلو استطاع شيرهورن أن يقتحم برجاله الطريق إلى البحيرات لأمكن إنقاذهم جميعا .

ورحب شيرهورن بالخطة ورد لاسلكيا بالموافقة عليها . وأرسل إليه سكورزنى بعد صعوبات ومجادلات هائلة من القيادة العليا كميات كبيرة من المهمات اللازمة .

وتحرك شيرهورن برجاله وشق بهم الطريق خطوة فخطوة نحو البحيرات (بعد أن حمل الجرحى فى اللوارى القليلة التى بقيت معه) .

والتقى شيرهورن فى الطريق بالمجموعة (١) التى كانت قد استطاعت أن تبقى على قيد الحياة بطريقة ما .

وفى ٢٧ فبراير وصل شيرهورن ورجاله إلى البحيرات وجاءت رسائله تترى « أين الطائرات ؟؟ » . . . « ارسلوا الطائرات » .

ولكن الطائرات لم ترسل قط .. فقد فوجىء سكورزنى — بعد عدة تخفيضات لمقرراته من البترول — بقطع البترول عن فريدنتال فجأة . وكانت تلك هى إحدى الحماقات المألوفة فى الحروب . فقد كانت القيادة تدخر الوقود للغد كما هى عادة القيادات ولكن أى غد ؟؟ ! أى غد وسقوط برلين ذاتها كان مسألة ايام .

وضاعت قوة شيرهورن بعد ذلك واختفت تماما . . . وحتى الآن لايعلم أحد عن مصيرها شيئا . هل أسرت ؟؟ هل ابيدت ؟؟ هل مات رجالها بفعل التجمد من فرط البرد ؟؟ لااحد يعرف . وإن كان سكورزنى قدسمع بعدالحرب إشاعة تقول بأن الروس قد أطلقوا سراح شيرهورن وأنه عاد وهو مهدوم الصحة إلى المانيا .

وقد كان من الرجال الذين اشتركوا فى مجموعات إنقاذ شيرهورن ضابط فى غاية الجرأة والشجاعة . وكان هو الكابتن والترجيرج ، الذى كان اخصائيا فى فن التسرب بين خطوط العدو . وقد اجتاز الخطوط الروسية عددا لا يحصى من المرات .

وكان جيرج يؤمن تماما بحظه الحسن . ولم يتخل عنه ذلك الحظ أبدا .

وقد استطاع بشجاعته وبمعونة حظه أن يحصل على نيشان الصليب الحديدى مرتين وهو لما يزل بعد فى الثالثة والعشرين من عمره .

وقد التحق جيرج متطوعا بالقوات الخاصة فى عام ١٩٤٤ وكان سكورزنى يجد صعوبة كبيرة فى كبح جماحه لأنه كان يندفع إلى الخطر كما لو كان يجد فيه لذة كبرى .

وكانت أشهر أعماله هى تمكنه من صد الاختراق الروسى لجبال الكاربات فى الفترة التى كان الألمان يتقدمون فيها لإستلام تلك الدفاعات من الجيش الرومانى المنهار . وكان ذلك فى عام ١٩٤٤ بعد ما تحطمت الجبهة البلقانية . وقد بدأت المهمة برسالة من القيادة العليا إلى سكورزنى « جهز فصيلتين لعملية عاجلة سوف تبدأ من مطار « تيميز فار » برومانيا. الغرض هو إغلاق ممرات جبال الكاريات والاستكشاف خلف خطوط العدو وتدمير مواصلاته ومساعدة المدنيين الألمان فى العودة بسلام » .

وجهز سكورزنى الفصيلتين وزودهما بالمهات وبملابس رومانية وبجماعات التدمير وبدستة من الفدائيين الذين يجيدون اللغة الروسية .وقبل أن تقلع الطائرات أرسل سكورزنى طائرة لاستكشاف حالة مطار « تيميز فار » . وعادت الطائرة بنبأ سقوط المطار فى أيدى الروس . وعليه فقد أمر سكورزنى بأن تنزل القوة فى مطار مهجور بعيد . وراحت القوة من هناك تواجه المجهول . . أربعون رجلا — بقيادة جيرج — فى مواجهة الجيش الروسى الجبار .

وكانت الهدنة قد أعلنت وقتئذ بين الجيش الروسى والرومانى

وقسم جيرج القوة إلى ٤ مجموعات .

وبدأت المجموعات بتدمير الممرات .وبذلك تعطل التقدم الروسى عدة أيام.

وتقدم الروس إلى هنغاريا واخترقوا دفاعات الكارابات ثم حاصروا العاصمة (بودابست) . وراح سكورزنى يتابع أنباء حصار بودابست وهو فى غاية القلق على قائد القوات الألمانية المدافعة هناك (الجنرال رومهر) الذى كان سكورزنى يعمل تحت قيادة خلال مدة خدمته بالجبهة الشرقية .

وكان سقوط بودابست يعنى تدميرا لكرامة هتلر . ولذلك فقد راح الأخير يحاول إنقاذها بجنون فألقى بثلاث من أفضل ماكان لديه من فرق الدبابات لإنقاذ بودابست وفك الحصار عنها ولكن قبضة الروس عليها كانت شديدة وعجزت الفرق عن فك الحصار .

وجاءت رسالة من الجنرال رومهر يطلب فيها أدوات طبية وأدوية ومواد أسعاف وذخيرة ليتمكن من مواصلة الدفاع عن المدينة .

واقترح سكورزنى إرسال تلك المواد إلى رومهر بطريق الدانوب .

وتم شحن سفينة نهرية سريعة فى فيينا بخمسمائة طن من تلك المواد . وكان بحارتها جميعاً من أمهر ضباط الملاحة فى الدانوب .

وقد استطاعت السفينة أن تقطع معظم المسافة فى سلام وأن تفلت مرتين من نيران الروس . ثم تلقى سكورزنى رسالة أليمة ... لقد جنحت السفينة على رمال الشاطىء بعيدا عن بودابست .

على أن ضباط السفينة لم يستسلموا فتسلل أحدهم إلى بودابست وعاد منها بقارب بخارى سريع ونقل به الشحنة كلها فى رحلات سريعة متتابعة . وعندما وصل الروس أخيراً إلى السفينة كان رجالها وشحناتها قد وصلوا جميعاً إلى بودابست وانضموا إلى حاميتها .

وظلت معركة بودابست محتدمة بعد ذلك لمدة شهر كامل وفى النهاية اضطر هتلر أن يصدر إلى حاميتها الأمر بالانسحاب . ومن عشرات الألوف الذين كانوا يدافعون عن بودابست لم يتمكن من الانسحاب والعودة إلى ألمانيا سوى مائة وسبعين فقط .

وعلم سكورزنى أن صديقه الجنرال رومهر قد أصيب بجراح شديدة ثم فضل الانتحار على الوقوع أسيراً .

الفصل الثانى عشر

الدفاع عن شويدت

لقد ظل سكورزنى لمدة عامين متتاليين يقوم بأعمال نعتبر بعيدة عن نطاق عمل الضابط العادى .

فقد عاش فى تلك الفترة وهو (فيما عدا الفكرة والهدف) يمارس أعمال بهلوانات السيرك والقراصنة وقطاع الطريق وكان هو الرجل الوحيد الذى يعتمد عليه هتلر لحفظ كرامة ألمانيا ولإنقاذها من الهزيمة .

وفجأة وفى الأسابيع القليلة السابقة على انتهاء الحرب . عاد سكورزنى إلى العمل النظامى .

وتولى سكورزنى فى تلك الأسابيع قيادة تكتيكية مباشرة ظل يمارسها كما لو كان ميجور جنرال فى كل شىء . . . فى السلطة . . . وفى عدد الوحدات التى كان يقودها . . . باختصار فى كل شىء عدا علامات الرتبة وماهيتها .

فذات مساء فى يناير ١٩٤٥ كان جالسا فى مكتبه بفريدنتال عندما دق جرس التليفون . وكان المتحدث هو هيملر ، الذى كان قد أصبح هو القائد العام لقطاع الفستولا بالجبهة الشرقية بعد أن سقط معظم القادة إما قتلى وإما متهمين بالخيانة . ولكن قيادته كانت اسمية بحتة إذ لم يعد هناك جيش يقوده كما أن قطاع الفستولا كان قد سقط فى أيدى الروس .

وأمره هيملر بأن يتحرك بكل رجاله فورا للدفاع عن مدينة شويدت وصد الروس هناك بكل وسيلة وإقامة قاعدة ثابتة هناك لينطلق منها الهجوم المضاد الكبير الذى ينوى هتلر أن يقذف فيه بجيشين كاملين جيشين كانا تحت التشكيل والإنشاء !! .

وكانت تلك المحادثة فى الخامسة بعد الظهر . وحتى الخامسة صباحا لم يتوقف

جرس التليفون عن الدق ، ومن مقر قيادة هتلر كانت تنهال عليـــه الأسئلة والاستعجالات ، ألم تتحرك بعد ؟ . لماذا لم تتحرك ؟ لقد أخطرنا هتلر بأنك قد تحركت ، وفى الخامسة صباحا كان سكورزنى قد أتم جمع الرجال وتجهيزهم . ثم تحرك بكتيبة مظلات ومعها ٤ سرايا من القوات الخاصة ، وكانت من بينها سرية مكونة من خليط من الألمان والهولنديين والبلجيكيين والدانمركيين والنرويجيين والسويديين .

وسار بهم فى طريقه إلى شويدت بدون أن يعرف شيئاً عن الموقف أو عن مكان الروس .

وفى الطريق علم بالصدفة بأن الروس كانوا على بعد عدة أميال جنوب شويدت (على نهر الأودر) .

وعندما وصل إلى المدينة (عدد السكان ٥٠٠٠٠) وجدها نائمة !! والعلم الألمانى يخفق فوق قلعتها التى كانت تشرف على نهر الأودر . أما الكوبرى الكبير المقام على النهر فكان سليما فى مكانه كأنما تركه بعضهم خصيصا بدون تخريب لتسهيل عبور الروس .

وللتو أرسل سكورزنى بضع داوريات استكشاف ثم راح يفكر فى الموقف .

وكان الموقف حوله يدعو إلى اليأس . فقد كانت الطرقات تعج بالجنود المنسحبين من الشرق ، وكان الذعر يسود المدينة ، بينما كان اللاجئون يسيرون نحو الغرب مطرقى الرؤوس . أما الروس فكانوا على مسافة أميال يستعدون للوثوب على المدينة التى كانت بغير دفاع تقريبا .

ومع ذلك فقد كان عليه أن يقف هناك وأن يقاوم وأن يصد الروس ، وكان عليه أن يحيل السكان المنهارين من رجال ونساء إلى مقاتلين أشداء ، وكان عليه أن يوهم العدو بأن المدينة قوية وحصينة وذلك باستخدام تكتيكات الهجوم أكثر من تكتيكات الدفاع ، وكان عليه فى آخر الأمر أن يتغلب على روح الهزيمة فى الداخل وعلى العدو القوى فى الخارج .

وبدأ بتشكيل القوة اللازمة . وفيما عدا الكتيبة والاربعة سرايا التى جاء بها معه ، لم يكن امامه فى شويدت سوى كتيبة احتياطية مكونة من ٥٠٠ رجل ما بين جريح او منهار معنويا ، ثم مائة وخمسين ما بين ضابط صف وطالب « ضابط » ، تصادف وجودهم هناك فى مشروع دراسى فى ذلك الوقت ، وبعد ذلك عدد يحصى على اصابع اليدين من العمال العسكريين الذين كانوا بالكاد يستطيعون إمساك البندقية .

ولم ييأس سكورزنى بل راح يفكر فى طريقة يجد بها المزيد من الجنود . ولم يطل به التفكير فقد شاهد عددا كبيرا من الجنود المنسحبين فى غير نظام من الشرق وهم يمرون بالمدينة فراح يجمعهم ويشكل منهم وحدات مقاتلة فى نفس الوقت الذى بدا فيه باحتلال نقط دفاعية على شكل قوس حول المدينة وعلى مسافة ٤ أميال منها . وتولى تدريب الجميع بواسطة صف ضباطه الأكفاء . وكانت خطوته التالية هى تجنيد كل القادرين على حمل الفأس والكوريك بالمدينة ، واكثر من ذلك إثارة حماسهم للعمل فى حفر الخنادق وتحصين المدينة . ولذا فإنه حين استدعى عمدة المدينة وكبار رجالها لم يفكر فى ان يقول لهم « اجمعوا الرجال لكى يحفروا الخنادق » ، وإنما قال لهم « احملوا الفأس والكوريك وتقدموا الرجال إلى حفر الخنادق » .

وبذلك وبغيره من اساليب التوجيه المعنوى استطاع سكورزنى ان يقنع اهل المدينة بأنه على حماسهم وتعاونهم معه يتوقف مصير المانيا كلها وانهم قادرون سويا على صد العدو وافساح الفرصة للجيوش الاحتياطية حتى تصل وتقوم بالهجوم .

وإذا كان نهر الأودر يمثل على الخريطة سدا منيعا فى مواجهة الروس — فى نظر هيملر — فإنه فى الواقع لم يكن سدا على الإطلاق . فقد كان النهر متجمدا بشدة إلى درجة كانت تسمح بمرور الدبابات والعربات عليه بأمان . وكان يلزم لسكورزنى عدد كبير من محطمات الثلوج والديناميت لكى يحطم جليد النهر ويجعل منه مانعا حقيقيا ضد الدبابات . ولم يكن يوجد لا محطمات ثلوج ولا ديناميت . ومع ذلك فقد كان قد نجح بجهود رجاله ومعاونة اهل المدينة فى

تحصين النقط الدفاعية بالدرجة التي كان يمكن لها أن تؤمن المدينة من السقوط في يد الروس لمدة بضع أيام . وفي خلال ذلك كان دائبا على تدريب الباقين وإعدادهم للمعركة . وقد استبقى أفضل ضباطه وصف ضباطه في المدينة وكلفهم بعمليات جمع النساء والأطفال والمهاجرين وإخلائهم ، وفي خلال أيام قليلة استطاع أن يتم إخلاء المدينة منهم وأن يعد كتيبتين تامتي المعدات والاسلحة وأن يكلفهما باحتلال النطاق الدفاعي الخارجي للمدينة .

وكانت داوريات القتال والاستكشاف تنطلق ليلا ونهاراً بأمر سكورزني وتخترق خطوط الروس الى مسافات وصلت إلى أربعين ميلا وتعود بالأسرى وبالمعلومات .

كما استعدت قوة لابأس للقيام بواجبات الهجوم المضاد واستعادة أي نقطة دفاعية تقع في يد العدو .

وأرسل إلى برلين يطلب إمداده بالمدافع المضادة للدبابات ولكن برلين كانت في واد آخر فلم ترد على رسائله أو على طلباته .

ورأى أن يعتمد على نفسه في الحصول على مطـــالبه فراح يرسل رجاله لاستكشاف إمكانيات المنطقة . وعلى بعد ٣٠ ميل من شويدت عثر رجاله على مصنع ضخم للمدافع المضادة للدبابات وأسرع سكورزني إلى المصنع وأخذ منه عدداً ضخما من المدافع ٧٥ مم بذخيرتها . وفي مخزن قريب من شويدت وجد عدداً كبيراً من مدافع الماكينة ماركة ٤٢ .

ولتعويض النقص في مدفعية الميدان جمع سكورزني عددا من المدافع المضادة للطائرات وركبها على لوارى وخصص لها واجب الضرب الارضى .

وبتلك الامكانيات التي ساعدته على الصمود لهجمات الروس انفسح أمامه الوقت لاستدعاء كتيبتي حرس وطني من هامبورج وكوينجسبرج .

وبذلك استطاع أن يشعر بالاطمئنان الى امكان الثبات في وجه الروس .

وجاء تليفون من جورنج « كيف يسير الحال عندك ؟ » فأجابه سكورزني « انني أرحب بإمدادي ببعض الوحدات » . وفي اليوم التالي وصلته كتيبة جديدة من فرقة جورنج الخاصة وكانت مكونة من جنود الطيران الذين كانوا بطبيعة عملهم السابق لايجيدون قتال المشاة ولذلك فقد وزعهم على الوحدات الأخرى حتى

يتسنى لهم التدريب على أعمال المشاة . وأصبحو بعدقليل أكفاء فى العمل كمشاة .

وذات يوم التقى سكورزنى بجماعة من الفرسان الذين كانوا يمتطون الخيل ويسيرون كما لو كانوا من فرسان القرون الوسطى . وأسرع الملازم الذى كان يقودهم إلى سكورزنى وحياه ثم قال « هـل يمكن أن ننضم إليكم ياسيدى » فأجابه « من المؤكد انكم تستطيعون ذلك » والتوعين لهم واجبا دفاعيا . وفى خلال أسبوع كانت قواته قد تضخمت حتى بلغ حجمها فرقة كاملة (حوالى ١٥ ألف رجل يتحدثون تقريبا بكل لغات أوربا) . . وحتى ذلك الوقت كان سكورزنى قد كسب الوقت وبقى عليه أن يكسب المعركة المنتظرة مع الروس . وذات صباح أرسل داورية استكشاف الى منطقة كوينجسبرج وهناك استقبلها الروس بالنيران فقتلوا منها جنديين وعاد الباقون بالخبر إلى سكورزنى فتحرك فوراً إلى هناك ونزل قرب بادن شوينفاز القريبة من كوينجسبرج وهناك علم من السكان أن الروس كانوا قد جاءوا منذ يومين وأنهم استقروا حول محطة السكة الحديد فى الجانب البعيد من المدينة. وزحف رجال سكورزنى إلى هناك ليجدوا الروس هناك ومعهم ٥٠ دبابة .

واتجه بعد ذلك بسرعة إلى كوينجسبرج وانتظر الروس هناك . وجاء الهجوم الروسى ودار القتال هناك من بيت إلى بيت واستطاع رجال سكورزنى أن يدمروا عشر دبابات ولكن الروس نجحوا فى احتـــلال المدينة واضطروه الى الانسحاب برجاله .

وعاد الى شويدت بعد ليلة من القتال المرير فى كوينجسبرج ليفاجأ بقائد الحرس الوطنى فى كوينجسبرج وهو يحييه قائلا « اننى انتظرتك طيلة الليلة الماضية هنا ياسيدى الكولونيل لأبلغك أن كوينجسبرج قد سقطت » وفى الحال ألقى سكورزنى القبض على ذلك القائد الذى فر من موقعه قبل أن تبدأ المعركة .

وكان ذلك القائد من أعضاء حزب النازى وكان يتولى رئاسة لجنة الحزب فى كوينجسبرج وبتلك الصفة كان يتولى قيادة الحرس الوطنى هناك .

وشكل سكورزنى مجلسا عسكريا ميدانيا لمحاكمة ذلك القائد وأصدر المجلس حكمه بإعدامه شنقا وتم تنفيذ الحكم . . ووصل ذلك الخبر إلى مارتن بورمان (نائب هتلر فى رئاسة الحزب) الذى أرسل برقية غاضبة إلى سكورزنى وقال

فيها ان الحزب وحده هو الذى يتولى محاكمة اعضائه . ورد سكورزنى على رسالة بورمان ، اننا حاكمنا رجلكم ليس بصفته عضوا فى الحزب وإنما بصفته جنديا ، ولكن قل لى أليس الجبن والهرب من المعركة معاقبا عليهما فى الحزب أيضا؟

وتلقى بعد أيام أمرا من بورمان بإرسال داورية قتال عاجلا إلى مكان كان يقع خلف خطوط الروس وذلك لتدمير سيارتين مهجورتين كانتا مملوءتان بأوراق هامة . وحين استفسر سكورزنى عن ماهية تلك الأوراق وعلم أنها أوراق خاصة بالحزب فقط لم يأبه بأوامر بورمان ورفض أن يضحى برجاله فى سبيل مصلحة الحزب .

وبعد ١٠ أيام وصلته سرية من الفدائيين يقودها زميله فى إنقاذ موسولينى (الملازم شويدت).

وبدأ الهجوم الروسى تتقدمه الدبابات الثقيلة ولكن المواقع الدفاعية استطاعت أن تصده بعد أن سقط بعضها . وفى ذلك اليوم كاد سكورزنى يتعرض للمحاكمة العسكرية بأمر هيملر نفسه . فقد كانت إحدى القرى الأمامية قد أخليت تحت ضغط الروس فأبرق إليه هيملر ، هل تمت محاكمة قائد السرية التى كانت تدافع عن تلك القرية أم أنه قد قتل فعلا !! ؟ ، ورد سكورزنى على البرقية بأنه لم يحدث لا هذا ولا ذلك وأنه لن يتخذ أى إجراء فى ذلك الموضوع .

وجاءته برقية بالتوجه فوراً إلى مقر قيادة هيملر . . .

ووضع سكورزنى البرقية فى جيبه ثم توجه الى الخطوط الامامية وأشرف على صد الروس هناك. ثم توجه بعد ذلك الى هيملر الذى راح يصب عليه جام غضبه ويهدده بالمحاكمة وبالعزل وبالسجن وبالاعدام .

وفى هدوء رد عليه سكورزنى بأنه هو الذى أمر باخلاء القرية لأسباب تكتيكية ومن الجانب الآخر فإن البرقيات التى كانت تصله من هيملر ومن قيادته كانت كلها برقيات مزعجة ومربكة وصادرة عن جهل بالموقف . وانه يجب ان يكون وحده هو الحكم الوحيد فى الأمور التكتيكية كما أنه لم يتلق ردا على طلباته المتتالية بالامداد بالرجال أو بالسلاح . ونجح ذلك المنطق فى إقناع هيملر فصافحه معتذرا ووعده بإمداده بكل مايطلب .

وظلت المعركة محتدمة حول شويدت وسقطت بعض القرى ولكن روح

سكورزنى الهجومية دفعته الى الهجوم على تلك القرى واستعادتها وراح الروس والألمان يتبادلون احتلال القرية الواحدة أكثر من مرة فى اليوم .

وشعر سكورزنى بالاطمئنان الى قوة دفاعه لدرجة أنه راح يحدث نفسه متفكها بأنه من الممكن أن يظل مدافعا عن شويدت حتى يشيخ . على أنه فى الواقع إنما كان يطيل بدفاعه القوى من عمر برلين يوما بعد يوم. وكان أيضا يفسح الوقت للمهاجرين من الشرق حتى يصلوا الى الأمان فى الغرب .

وفى مقر قيادته الأمامى تلقى رسالة من شويدت بأن جورنج هناك فتوجه اليه ورحب به ووجده قد فقد الكثير من وزنه الضخم ، فقدم إليه بعض الويسكى والسجاير وراح يشرح له الموقف ثم صحبه الى الخطوط الأمامية . ومن هناك ودعه جورنج وعاد وهو مسرور بما رآه من صمود الدفاعات .

واستمرت المعركة ولكن الدفاعات صمدت . وبذلك يكون سكورزنى قد نجح فى القيام بواجب قائد فرقة كاملة ، وكان من حقه عندئذ أن يطلب لنفسه رتبة ميجور جنرال وكان من المؤكد أنه سينالها . ولكنه لم يجد الوقت اللازم لملء الاستمارات والنماذج اللازمة ولذلك فقد ظل برتبة الكولونيل حتى نهاية الحرب . ولكن الإذاعة البريطانية منحته رتبة الجنرال حين راحت تعلن أن سكورزنى ... الذى أنقذ موسولينى قد رقى إلى رتبة ميجور جنرال وتولى قيادة الدفاع عن برلين ، وبذلك أصبح أقوى رجل فى برلين ، وقد بدا عمله بالقضاء على الألوف من السكان الغير مرغوب فيهم .

وضحك سكورزنى وهو يسمع ذلك الخبر . . هاهى الاذاعة البرطانية تعود الى الألعاب السياسية فكما سبق لها ان اعلنت — كذبا — تسليم موسولينى الى الحلفاء لتخدع الألمان وتهبط من جهودهم فى سبيل إنقاذه اذا بها تعود إلى اثارة الذعر فى نفوس الألمان عن طريق الاعلان بأن بطلهم قد تحول الى قاتل .

ولم يكن يدرى وهو مستغرق فى الضحك يومها أن تلك السحابة التى صنعتها الإذاعة البريطانية سوف تنفجر فوق رأسه ذات يوم وتقترب به من المشنقة .

وفى نهاية فبراير غادر سكورزنى مدينة شويدت بأمر من الجنرال جودل الذى كان قد تلقى الأوامر من هتلر بتكليف سكورزنى بمهمة جديدة خطيرة .

وبعد ايام قليلة تلقى القائد الذى خلف سكورزنى فى قيادة دفاعات شويدت امراً باخلاء المدينة .

الفصل الثالث عشر

سكورزنى أسيرا

كما حدث منذ ستة أشهر ماضية عندما وقع كوبرى نيمجن فى أيدى الحلفاء وقع أيضاً كوبرى آخر هو كوبرى ريماجن فى يد الجيش الأول الأمريكى .

وكان معنى سقوط ذلك الكوبرى الجديد هو فتح الطريق إلى قلب ألمانيا مباشرة لأن ذلك الكوبرى كان هو أكبر كبارى نهر الراين . . ذلك النهر الذى كان يعد الفاصل والسد الأكبر ضد غزو ألمانيا من الغرب . وجاءت الصيحة « أطلبوا سكورزنى فورا » .

وتلقى سكورزنى من جودل الأمر بتدمير ذلك الكوبرى بعد أن عجزت الهجمات الأرضية والجوية المتتالية عن إستعادته أو تدميره .

ورفض سكورزنى أن يرسل رجاله إلى الموت وهم مغمضى العينين . فجمع رجال الضفادع البشرية الباقين فى فريدنتال وأبلغهم بالأمر الذى تلقاه وأوضح لهم أن احتمالات الفشل لا تقل عن ٩٠٪ لأن الأمريكان كانوا قد أخذوا درسا من حادث تدمير كوبرى نيمجن وأنهم يحرسون كوبرى ريما جن هذه المرة وعيونهم على النهر ، ولذلك فقد صوبوا إليه المدافع والأنوار الكاشفة واحتلوا شاطىء النهر لمسافات بعيدة ، كما أن ماء النهر كان قريبا من التجمد . ولذلك فإن سكورزنى كان يقدر أن الذاهبين فى مهمة تدمير الكوبرى لن يعودوا أبدا .

وعليه فقد ترك لرجاله الحرية المطلقة فى التطوع لتلك المأمورية أو رفضها مؤكدا لهم أنه لا لوم مطلقا على من يرفضها منهم .

ولكنهم مع ذلك تطوعوا وذهبوا وفشلوا وقتل معظمهم ووقع الباقون أسرى فى يد الأمريكان . . وبقى الكوبرى سليما . وتمت تلك المأساة بسبب عقلية القيادة العليا الجامدة التى جعلتها تأمر بتكرار عملية قد افتضح سرها من قبل ، وصار العدو على توقع وحذر كامل منها .

وتوجه سكورزنى إلى مقر المستشارين فى برلين لكى يبلغ هتلر بفشل المهمة .

وهناك تلقته ايفا براون (عشيقة هتلر) مرحبة وقالت له « إننى سمعت بمغامراتك العجيبة ... لابد لك أن تحضر يوما لتناول الشاى معنا حتى تروى لنا بعض تلك المغامرات ». وكان هتلر يعيش وقتها أيامه الأخيرة . فقد كان الروس يدقون أبواب برلين ، والغارات تتالى ليل نهار والقنابل تنهار فى كل لحظة فوق مخبأ هتلر بدار المستشارية .

وخرج هتلر من المخبأ ، فى طريقه إلى اجتماع بالدار . وفى طريقه التقى بسكورزنى فمد يديه المرتعدتين لمصافحته وقال « سكورزنى ... أننى لم أشكرك بعد على وقفتك الجيدة على ضفاف الأودر . فقد كانت تلك الوقفة هى النقطة الوحيدة المضيئة فى سجل الدمار والخراب لأيام عديدة . إننى منحتك درجة أوراق البلوط على نيشان صليب الفرسان وسوف أسلمها إليك بنفسى فلدى أعمال كثيرة لك فى المستقبل » ثم استأنف سيره وهو محنى الظهر .

ولم يره سكورزنى بعد ذلك .

ورأى سكورزنى دار المستشارية وهى تعج بحاشية هتلر وفى غرفة فى آخر المخبأ وجد « هانا ريتش » وهى مريضة وراح يصافحها فى اشتياق وفى صوت ضعيف قالت « أننى مازلت أستطيع الطيران . بعد قليل سوف أنهض وأعود إلى المعركة » .

ووفت هانا بعهدها فعندما أتم الروس حصارهم لبرلين استطاعت أن تنزل بطائرة صغيرة فى شارع قريب من دار المستشارية ومعها الجنرال ريترفون جريم الذى كان هتلر قد أمرها بإحضاره لكى يتولى منصب جورنج الذى كان متهما بالخيانة وبأنه اتصل بالحلفاء من وراء ظهر هتلر .

وعند نزول طائرة هانا اصطدمت بحجر كبير وأصيب جريم بجراح شديدة ولكنه استطاع أن ينهض على قدميه بعد ٤ أيام . وعندئذ طارت به هانا ثانية إلى خارج برلين لكى يتولى القبض على جورنج بأوامر من هتلر .

وعندما غادر سكورزنى برلين كانت قد بقيت لهتلر ٢٤ ساعة فقط .

وعاد إلى فريدنتال ليجمع مابقى من رجاله ويستعد بهم لوقفة أخيرة ... فقد كان آخر أمر تلقاه هو التحرك برجاله إلى « عش النسر » الذى كان يقع

على الحدود الألمانية النمساوية (فوق جبال الألب) . وكان عش النسر هو قصر هتلر المفضل .

وكانت خطة هتلر تقضى بأن ينتقل إلى عش النسر ويقف صامدا للغزو بقوة تقدر بثلاثين فرقة . وهناك فى تلك الجبال كانت الكهوف والمخابىء قد أعدت وملئت بالذخيرة وبالطعام . وكان فى تقدير هتلر أنه يستطيع أن يصمد هناك لسنين عديدة .

وفى طريقه إلى عش النسر مر سكورزنى بفيينا لكى يزور عائلته . ووجد المدينة مطفأة الأنوار وشوارعها خالية والدخان يتصاعد من مبانيها المحترقة ، وكان صوت المدافع يسمع من بعيد . ووجد سكورزنى بيت أخيه محترقا وكذلك بيت والدته . وأخبره أحد الجيران بأن والدته غادرت فيينا منذ أيام .

وواصل طريقه فى شوارع المدينة ليجد الدفاعات خالية من الرجال والدبابات مهجورة هنا وهناك . وعند سدادة طريق ضخمة خرج إليه رجلان وقالا له «الروس هناك فى ذلك الشارع .... ونحن حامية فيينا !!!! » . لقد فقدت فيينا كل شيء فيما عدا روح الفكاهة . واتجه بعد ذلك إلى مكتبه القديم . وهناك وجد شريكه السابق وسكرتيرته . وقدم الشريك والسكرتيرة إليه الشاى وراح الثلاثة يتحدثون على ضوء شمعة .

وغادرهم سكورزنى ليزور بيته فى شارع بيتر جوردان . ولم يجد هناك أحد ... وترك البيت بما فيه من تحف وذكريات ، وانطلق إلى قلعة فيينا وهناك وجد الحال مختلفا فقد كان بالدر فون شيراخ (قائد قطاع فيينا وصديق هتلر منذ الصبا) جالسا فى راحة تامة والشموع تضيء من حوله بالعشرات وهو يحملق فى خريطة كبيرة .

وقال له سكورزنى « لعلك تعلم أن الروس فى فيينا الآن » فرد عليه شيراخ « هراء إنهم لن يستطيعوا احتلالها فسوف أهاجمهم بفرقتين من فرق العاصفة من الشمال وأطبق عليهم بفرقتين من الجنوب وبذلك يقعوا بين فكى الكماشة » .

وتركه سكورزنى وهو يواصل لعبته الصبيانية وكانت كلمات فون شيراخ الأخيرة له « هنا سوف أقاتل وهناك سوف أموت » .

وفى طريقه إلى الشمال أرسل إشارة لاسلكية إلى برلين يقول « سوف تسقط فيينا اليوم » . ولم يرد أحد عليه .

وفى مقر قيادته الجديد قرب « عش النسر » (فى راد ستادت) تلقى سكورزنى من يد رسول (جاء من برلين خصيصا) أوراق البلوط التى وعده هتلر بها .

وجاءته رسالة من الدكتور والتر فنك (مدير بنك الرايخ ووزير الاقتصاد) يسأل فيها عما إذا كان يمكن لسكورزنى أن يقبل نقل ذهب بنك الرايخ إلى مقر قيادته لكى يبقى ذلك الذهب (ومعه فنك نفسه) تحت حمايته ؟؟ .

ورد سكورزنى بأنه لا مكان لديه للذهب أو لوزير الاقتصاد. ودار سكورزنى ورادل فى جولة تفتيشية على المنطقة وهناك لم يجدا أى دفاع من أى نوع .

وفى يوم ٣٠ ابريل انتحر هتلر فى مخبئه بدار المستشارية . وبعد ستة أيام سمع سكورزنى أن الحرب قد انتهت . وجاءه صديق من ضباط الطيران يعرض عليه أن يطير به إلى بعض الأصدقاء فى أسبانيا . ولكن سكورزنى رفض ذلك مفضلا أن يبقى ليشرف على تسريح رجاله .

وتوجه ومعه رادل إلى كوخ جبلى قريب ومن هناك راح يحاول الاتصال بأقرب وحدة للحلفاء ليسلم نفسه إليها . ولدهشته سمع من الفلاحين هناك بأن القوات الأمريكية فى المنطقة كانت تبحث عنه فى كل مكان لتقبض عليه . وعندئذ بدأ يتنبه إلى خطورة موقفه وإلى ما يمكن أن تؤدى إليه الإشاعات التى انتشرت فى السنين السابقة عنه (بأنه قاتل سفاك) من معاملته بصفته من مجرمى الحرب .

ورأى أن أفضل الطرق هى أن يسلم نفسه بسرعة قبل أن يقبض عليه بعض الجنود ويعاملوه على اعتبار أنه قاتل ، فأرسل بسرعة إلى أقرب قيادة أمريكية ثلاث رسائل بأنه على استعداد لتسليم نفسه ويسأل متى وأين يقدم نفسه . ولكن الأمريكان لم يردوا عليه ، وكان من الواضح أنهم لم يصدقوا ما جاء بتلك الرسائل وأنهم اعتبروها مجرد محاولات لتضليلهم عن سكورزنى ومقره الحقيقى .

ومن راديو لوكمسبرج راحت إذاعات الحلفاء تهتف بالألمان وتهيب بـ « كل مواطن المانى مخلص لوطنه » ان يساعد الحلفاء فى العثور على القاتل سكورزنى (زعيم عصابة السفاحين) .

ومن بعدها راحت صحافة الحلفاء تصرخ « إن أذكى شياطين الشر فى ألمانيا مايزال حرا ... إن كل مخابرات الحلفاء تفتش ألمانيا بحثا عنه » .

وحين يئس سكورزنى من رد الأمريكان على رسائله نزل هو ورادل وضابطان آخران إلى السهول وكان ذلك بعد ١٠ أيام من استسلام ألمانيا .

وقصد الجميع إلى أقرب وحدة عسكرية ليقدموا أنفسهم إليها . ولكن ذلك لم يكن سهلا فقد نسى سكورزنى للمرة الأولى أثر المفاجأة على النفوس . إذ كان آخر شىء يتوقعه جنود الحلفاء هو أن سكورزنى (الذى طالما سمعوا عن قدرته على الخداع والمكر يمكن أن يقدم نفسه بنفسه إلى ايديهم ..هكذا بغير مطاردة ولا نيران تنطلق من هنا أو هناك .

وكانت الوحدة التى قصدوا إليها هى مجرد مخزن للمهمات . وهز الشاويش الأمريكانى (الذى قدموا أنفسهم إليه) رأسه فى ملل وهو يسمع اسماءهم وكان من الواضح انه لم يسمع باسم سكورزنى من قبل !! وقال لهم انه لاوقت لديه لإستلام أسرى . ولكنهم راحوا يلحون عليه ان يقبل استسلامهم إليه كأسرى حرب . وعندئذ تكرم الرجل واعطاهم عربة جيب بسائقها لكى يوصلهم إلى مقر قيادة الفرقة .

وفى الطريق راح السائق (الذى كان قد سمع من قبل باسم سكورزنى) يسأل فى فضول « سكورزنى !؟ هيه ... هل انت فعلا سكورزنى » فرد عليه سكورزنى بالإيجاب وعندئذ توقف بالعربة امام إحدى الحانات ودعاه هو وزملائه إلى تناول الشراب على حسابه . وبينما كان سكورزنى يحتسى كأسه فى هدوء قال له السائق « إشرب فأنت بحاجة إلى هذه الكأس فسوف يشنقونك الليلة » .

وفى سالزبرج توقف السائق بالعربة أمام فندق كانت قيادة الفرقة الأمريكية تحتله ، وتركهم السائق وحدهم (بأسلحتهم) ودخل إلى الفندق ، ولم يروه بعد ذلك . فقد جاءهم ميجور ونقلهم إلى سيارة اخرى وارسلهم (وهم مازالوا بأسلحتهم) إلى قيادة أخرى . وفى القيادة الجديدة جلس سكورزنى وضباطه فى هدوء .

حتى خطر فجأة على بال أحد الأمريكان أنه يجلس بينهم فى تلك اللحظة (ومعه سلاحه) ذلك الرجل الذى كانت قوات الحلفاء بأجمعها تطارده وتفتش عنه فى كل ركن من ألمانيا . وفى بساطة دعى سكورزنى وحده إلى إحدى الحجرات « ليتبادل حديثا مع أحد الضباط » وجلس سكورزنى فى تلك الحجرة ثم فوجىء بنوافذها وبأبوابها الثلاثة تنفتح مرة واحدة ويظهر منها رجال يحملون الرشاشات ويصوبونها نحوه !! وفى ثوان هجم عليه بعضهم ونزع سلاحه . ثم فتشوه هو ورجاله بعد ذلك تفتيشا بلغ من دقته أنهم ارغموهم على خلع ملابسهم .

وتحركوا بهم بعد ذلك فى عربات جيب . . . كل واحد فى عربة وأمام القافلة وخلفها كانت تسير عربة مدرعة وجميع مدافعها مصوبة عليهم ! ! ! وبجوار سكورزنى كان يجلس بوليس حربى أمريكى وهو يصوب مسدسه إلى قلبه وإصبعه على الزناد .

وأعيدوا بتلك الطريقة إلى سالزبرج . ونزلوا هناك أمام قصر كبير ، واقتيدوا وأيديهم مقيدة إلى ظهورهم والبنادق مصوبة إليهم إلى الداخل . ودخل سكورزنى وهو بذلك الحال إلى الطابق الأرضى وحده وهناك وجد فى استقباله ضابطين أمريكيين ومترجم ومن حولهم مراسلوا الصحف ومصوريها . وراحت أضواء التصوير تنطلق فى عينيه وتعشى بصره . وظهرت على الصفحات الأولى من الصحف فى اليوم التالى مئات التقارير عنه .

فقالت صحف لندن « لقد كان يقف أمام آسريه شامخ الرأس وهو مقيد اليدين وعندما طلب سيجارة قدمها إليه بعضهم وراح يساعده على تدخينها وعلى نفض الرماد منها » .

أما صحف شيكاغو فقالت على لسان مراسلها « أنى أستطيع أن أقول عنه أنه نازى من قمة رأســه حتى أخمص قدمه فقد كان يسير وهو رافع الرأس وسط حراسه الذين كانوا يتمنون أن يأتى بأى حركة تتيح لهم فرصة إطلاق النار عليه » .

وراح المراسلون يصبون أسئلتهم عليه ولـكنه رفض أن يجيب على أى سؤال

قبل أن تطلق يديه ، ثم شكا من أن الجنود الأمريكان نهبوا ساعته (التى كانت هدية من موسولينى) . وأطلقت يداه من القيود وأعيدت الساعة إليه . . . وقد ظل بعد ذلك شهورا وهو مشغول بالمحافظة عليها وبالدفاع عنها ضد الجنود الأمريكان من طلاب التذكارات .

وسار سكورزنى — بعد إطلاق يديه — نحو النافذة ببساطة وأطل منها وصاح برادل « أما زلت مقيد اليدين » ؟ وأجاب رادل « نعم » وعندئذ استدار سكورزنى نحو آسريه وقال أنه لن يتكلم إلا إذا رفعت القيود عن أيدى رادل وزملاءه وللمرة الثانية أجيب طلبه .

وبدأ الاستجواب بالموضوع الذى من أجله كان الحلفاء يطاردونه ويبحثون عنه . . . « لماذا حاولت أن تقتل ايزنهاور » ؟ فأجاب « أننى لم أحاول ذلك قط . . . ما الذى دعاكم إلى هذا الظن » ؟ .

ولم يصدقه أحد . وكان تعليق مراسل النيويورك تيمز على ذلك الإنكار هو « رجل وسيم (فيما عدا الجرح الغائر الذى يمتد من أذنه إلى ذقنه) ينكر فى بساطة تلك المؤامرة التى دبرها لقتل ضباط القيادة العليا للحلفاء » .

وعندما راح المراسلون يصرون على عدم تصديق إنكاره هتف بهم « لو أننى كلفت بمهاجمة مقر قيادة الحلفاء لرسمت الخطة اللازمة لذلك . ولو أنى رسمت تلك الخطة لنفذتها ونجحت فيها » . وبالنسبة لسكورزنى فقد كان ذلك الرد منطقيا ومقنعا بما فيه الكفاية . ولكن الأمر كان مختلفا بالنسبة للمراسلين فقد رأوا فى تلك الإجابة دليلا جديدا على قدرته على الخداع وفى ذلك قال مراسل صحيفة الكريستيان سايانس مونيتور « أنه شخصية جبارة قادرة على فرض نفسها ومكرها على الآخرين » .

وانتهى المؤتمر الصحفى .

وامضى سكورزنى ورادل الليلة سويا بعد أن أعيد تقييد أيديهما خلف ظهورهمـــا وكان يقف من حولهما حرس مسلح بالبنادق والمسدسات والرشاشات .

وعاش سكورزنى بعد ذلك أوقاتا عجيبة . بين استجوابات واتهـــامات ومقابلات عسكرية وصحفية. فقدقضى الكولونيل الأمريكى شين(من المخابرات) أياما وهو يستجوبه عن تهمة محاولة خطف أو اغتيال ايزنهاور ، وفى النهـاية اقتنع بأنها غير صحيحة . ثم تحول إلى إتهامه بأنه هرّب هتلر بالطائرة من برلين وبعد لأى أقنعه سكورزنى بأن ذلك لم يحدث .

ثم نقل إلى سجن فيسبادن ، ثم إلى سجون أخرى ، ثم إلى سجن نورمبرج . واستدعته محكمة نورمبرج كشـاهد على مجرمى الحرب ، ولـكن لم يكن لديه ما يقوله ، لأنه كان مشغولا بعمليات القوات الخاصة .

وفى سجن نورمبرج شددت عليه الحراسة ، لأن ضباطه كانوا قد رسموا خطة لإنقاذه ، وعلم الحلفاء بالخطة . ثم نقل فى مايو ١٩٤٦ إلى سجن داخاو حيث أصيب بالدوسنتاريا ، وأجريت له عملية جراحية شفته من مرض الكلى .

وفى داخاو استطاع رادل أن يحصل على عمل فى المطبخ ومن هناك راح يهرب بعض الأطعمة الشهية لسكورزنى مما ساعده كثيراً على استرداد عافيته .

ونقل بعد ذلك من داخاو إلى سجن آخر. ولـكن الحراس لم يستطيعوا أن يصلوا به إلى ذلك السجن قبل إغلاقه فى المساء لذلك فقد استأجروا له حجرة فى أحد الفنادق وأغلقوها عليه ونزلوا ليلعبوا البوكر فى الردهة .

وكان باستطاعته ليلتها أن يهرب بكل سهولة ولـكنه راح وهو يتناول طعام الفندق أو النظيف أو يتمشى فى الحجرة الوثيرة يقاوم الرغبة فى الهرب قائلا لنفسه أن الحرية فى طريقها اليه وأنه لم يفعل شيئاً يمكن أن يعاقب عليه .

وكم ندم بعد ذلك على أنه لم يستسلم إلى تلك الرغبة ويهرب .

الفصل الرابع عشر

محاكمة . براءة . هروب . . استقرار

وفى أواخر يوليه سنة ١٩٤٧ استدعى سكورزنى إلى مكتب قائد معتقل داخاو وهناك استقبلته أضواء التصوير . وتصور ساعتئذ أنهـم استدعوه ليحتفلوا بإطلاق سراحه .

وكانت آماله تلك مبنية على ما كان قد سمعه من مستشار فى شئون جرائم الحرب . إذ كان الأخير قد زاره فى المعتقل منذ أسابيع وراح يستجوبه عن العملية « جريف » التى كانت هى محور إتهامه بأنه مجرم حرب . وبعد أن روى له سكورزنى كل التفاصيل اللازمة قال هذا له « لقد أقنعتنى تماما بأنك لم ترتكب أى عمل يستحق العقاب » .

ودخل إلى المكتب بعد ذلك عدة ضباط ألمان مع حراسهم . . وخطر على بال سكورزنى أنهم جاءوا ليسمعوا هم أيضاً نبأ إطلاق سراحهم .

وتقدم إليهم عندئذ الكولونيل الأمريكانى روزنفلد وراح يقرأ من ورقة فى يده وبجواره مترجم ينقل أقواله كلمة بكلمة إلى الألمانية .

ولم يصدق سكورزنى أذنيه وهو يسمع المترجم ينقل إليه الإتهام بأنه قاد مجموعة من الجنود الألمان المتنكرين فى ثياب أمريكية واشترك بهم فى القتال ضد الحلفاء !! وبأنه قد سرق عدد من طرود الصليب الأحمر التى كانت مرسلة إلى الأسرى من جنود الحلفاء ، وأخيرا بأنه اشترك مع الضباط (الذين كانوا يقفون بجواره) فى تعذيب وقتل أكثر من مائة أسير أمريكى !! .

والتفت عندئذ إلى زملائه من الضابط الألمان الذين قال الإتهام بأنه اشترك معهم فى التعذيب والقتل ووجد أنه يعرف منهم اثنين فقط أما الباقين فلا يتذكر أنه رآهم قط من قبل .

وسكت روزنفلد لتنطلق الأضواء فى وجه سكورزنى ولتنهال عليه أسئلة الصحفيين « ماهى قصة طرود الصليب الأحمر ؟ » لماذا كنت تعذب الجنود

الأمريكيين ؟ !! وراح سكورزنى يرد على تلك الأسئلة مؤكدا أنه لايعلم شيئا ، عن أى قتال حدث بين جنوده وبين الحلفاء فى خلال العملية « جريف » ، ولا عن طرود الصليب الأحمر ولا عن تعذيب أو قتل الأسرى ... وكذلك كان حال زملاؤه .

وهكذا ، وبعد ٢٦ شهر قضاها فى السجون والمعتقلات وهو يتوقع إطلاق سراحه فى كل لحظة ، وجد نفسه مباشرة أمام حبل المشنقة .

ولكنه أمام منظر زملائه المؤلم لم يتمالك أن نسى همومه وراح يعمل على رفع معنوياتهم .

وجاء مقدم المحامى الذى عينته المحكمة للدفاع عنهم مخيبا لآمالهم فى بدايته . فقد راح ذلك المحامى (الكولونيل الأمريكى روبرت دورست) يستجوبهم واحدا فواحدا فى دقة شديدة وبغير رحمة كما لوكان يريد أن ينتزع الاعترافات منهم .

وبعد أربعة أيام من الاستجوابات المريرة انفرجت شفتا روبرت دورست عن ابتسامة عريضة وراح يصافحهم واحدا بعد الآخر وهو يقول « لقد اقتنعت تماما بأنكم أبرياء . وسوف أدافع عنكم بكل قوتى » ولم يكن مساعدا الكولونيل دورست بأقل حماسة منه فى الدفاع عن سكورزنى وزملائه (وكاناهما الكولونيل دونالد ماكلور والميجور ل . ى . هورويتز) .

وفجأة تقدم للدفاع عنهم ستة من المحامين الألمان وكانوا متطوعين لذلك بغير أمل فى الأجر . وقد بلغت الشهامة بأحدهم (الدكتور انجرمان وهو نمساوى) أنه عرض نفسه للاعتقال والدخول إلى داخاو كسجين حتى يتمكن من التحدث بحرية مع سكورزنى وزملائه . ولكن الكولونيل دورست اعترض على وجود المحامين الألمان مؤكدا أن وجودهم سوف يسيىء إلى مركز المتهمين . ورأى سكورزنى أنه على حق فعرض الأمر على زملائه وأخذ أصواتهم فجاءت جميعها فى صفه وانسحب على أثر ذلك ثلاثة من المحامين وبقى ثلاثة ليعملوا بصفة مستشارين .

وعندما بدأت المحاكمة كان دورست من الجرأة بحيث اعترض على اسم رئيس المحكمة . ولكن الاعتراض رفض .

وفى خلال الأسابيع السابقة على المحاكمة وضع سكورزنى وزملائه فى سجن مدنى عادى مع اللصوص والنشالين وكان حراسهم من البولنديين الذين كانوا يكنون بغضا عميقا للألمان . وقد أكد هؤلاء الحراس لسكورزنى أنه إذا استطاع النجاة من حبل الجلاد الأمريكى الذى كان ينتظره فإن جلادا روسيا آخر سوف يكون فى انتظاره !! لأن الروس سوف يحتلون ألمانيا كلها عن قريب .

والواقع هو أن الروس لم يفكروا فى الانتقام من سكورزنى .

وذات ليلة ضم إليه هؤلاء الحراس سجينا آخر . وكان ضابطا بولنديا متهما بالتجسس لحساب الروس . وراح ذلك الضابط يسير بكل حرية فى السجن والحراس يحيونه ويرحبون به فى كل مكان . وقال ذلك الضابط لسكورزنى أنه سوف يهرب من السجن وأنه يسره أن يصطحبه معه وأن روسيا سوف ترحب بمنقذ موسولينى وسوف تنتفع بكفاءاته .

وضحك سكورزنى وهو غير مصدق أنه باستطاعة ذلك الضابط أن يهرب . ولكن الأخير استطاع بمعونة حراسه أن يهرب فعلا إلى روسيا .

وجاءه فى السجن ثلاثة من الضباط الأمريكان وعرضوا عليهم استعدادهم للشهادة بأن القوات الأمريكية قد قتلت الأسرى الألمان فى أكثر من مناسبة . ورفض سكورزنى ذلك العرض مؤكدا أنه حتى ولو كان الأمريكان قد فعلوا ذلك فإنه لم يقتل ولم يعذب أبدا أى أسير أمريكى .

وقدر لسكورزنى بعد ذلك أن يذوق خيانة الأصدقاء . فقد كان قد التقى (عندما كان يؤدى الشهادة أمام محكمة نورمبرج) بجنرال ألمانى كان يقوم فى خلال الحرب بتسجيل أعمال الفدائيين البريطانيين ومن ضمنها تنكرهم فى زى الألمان أثناء القتال . وعلى ذلك فقد طلب سكورزنى من محاميه الكولونيل دورست أن يتصل بذلك الجنرال ويعرض عليه ان يشهد بتلك المعلومات . ولكن الجنرال الذى كان لا يريد ان يفقد عطف سادته الجدد رفض ان يتذكر

أى شىء !! ونفى أنه لايعرف سكورزنى أو أنه يعرف شيئا عن أعمال الفدائيين البريطانيين .

وفى ذلك الوقت شاعت حمى المراهنة بين الجنود الأمريكان على مصيره وكانت نسبة الرهان ١٠ إلى واحد على أنه سوف يشنق ، ومرت تلك الحمى حتى بلغت ميونخ . ولكن سكورزنى لم يفقد تفاؤله وخاصة بعد أن سمع بأن المحاكمة قد تحدد لها يوم ١٨ أغسطس وهو نفس اليوم الذى نجا فيه من موت كان مؤكدا بنسبة ١٠٠ إلى واحد فى مياه ساردينيا عندما تحطمت به الطائرة فى بداية محاولاته لإنقاذ موسولينى منذ ٤ سنوات .

وفى يوم ١٨ أغسطس أقتيد هو وزملائه إلى المحكمة . وكانوا قد استعدوا لذلك اليوم باستعارة بعض الثياب المناسبة من حراسهم ... وساروا إلى المحكمة وعلى صدر كل منهم قرص يحمل رقما ضخما . وخيل لسكورزنى يومها أنه يشبه حيوانا يعرض فى معرض للسلالات الممتازة !!!!! .

وفى المحكمة كان أفراد البوليس الحربى والحراس المسلحون ينتشرون فى كل مكان، وراح سكورزنى يأمل ألا تؤثر تلك الاحتياطات الضخمة فى نفوس القضاة فتوحى لهم بأن متهميهم قوم خطرون فعلا .

وكانت مقاعد المتفرجين مكتظة بمراسلى الصحف وبالمدنيين الألمان .

ودخل أعضاء المحكمة (تسعة من الكولونيلات الأمريكان) .

واتجهت الأنظار كلها بعد ذلك إلى ممثل الاتهام ... الكولونيل روزنفلد الذى كانت تطل من ورائه خريطة كبيرة لمعركة الأردين .

وبعد أن ألقى روزنفلد بمرافعته الإبتدائية استدعى أول شهود الإثبات . . كارل رادل !!!! .

وخيل لسكورزنى ساعتها أنه سمع الاسم خطأ ولكن كارل رادل ظهر وتقدم فعلا إلى منصة الشهود .

وكان وجه رادل محمرا وفى صوت مخنوق راح يقرر أنه كان فى فريدنتال عندما راح المتطوعون « للفرقة الأمريكية » يتدفقون عليها ، وأنه كان يعلم بالعملية « جريف » . وبعد عدة أسئلة قليلة غادر رادل مقعد الشهود ....

وتنفس سكورزنى الصعداء فقد كان كل ما أدلى به رادل لا يزيد عن تقرير لأمر واقع هو تشكيل « الفرقة الأمريكية » ، وهى حقيقة لم ينكرها سكورزنى أبدا وكانت أمرا مسلما بحدوثه من الجميع .

ونهض الكولونيل دورست ساعتها ليقرر أن رادل قد أجبر على الظهور كشاهد إثبات فهل كان ممثل الإتهام يقصد بذلك أن يوهم أصدقاء سكورزنى بأن أركان حربه قد انقلب عليه ؟ !!! .

واستدعى روزنفلد بعد ذلك ضابطا آخراً من ضباط سكورزنى بعد رادل (الكابتن ويرنر هانك) كشاهد إثبات أيضاً . وكان هانك مشهورا فى فريدنتال بالاسم الذى كان قد أطلقه عليه رادل هناك من باب الفكاهة « الرجل الصينى » لأن هانك كان قد ولد فى الصين ، ومع أنه لم يقض هناك سوى شهور الرضاع فقط فإن جنرالا ذكيا ـ كان قد أمر بنقله إلى فريدنتال باعتباره خبيرا فى شئون الشرق الأقصى .

وعلى مقعد الشهود جلس هانك فى هدوء ثم أعطى درسا لرادل فى أهم مزية للصينيين وهى الصمت . وأطبق هانك فكيه ورفض أن ينطق بكلمة واحدة واضطر روزنفلد أن يصرفه وهو فى غاية الحنق .

وجاء شاهد الإثبات الثالث وألقى بشهادة انفجرت كالقنبلة .

وكان ذلك الشاهد ضابطا للامداد والتموين ، وكان قد انضم إلى فريدنتال فى الشهور الأخيرة للحرب . وقد كان هناك دائم الاصطدام بزملائه الضباط وكان سكورزنى دائم الدفـــاع عنه والإشادة بجهوده وخاصة فى خلال معركة الأودر .

والآن جاء ذلك الضابط وراح يتجنب أن تلتقى عيناه بعينى سكورزنى ثم أقسم اليمين وقال أن سكورزنى قد وزع على رجاله فى أثناء العملية « جريف » رصاصا موسوما بدائرة حمراء . . . رصاصا مسموما ليقتلوا به الأمريكان !!!!

وانتهت الجلسة يومها عند ذلك الحد . وراح دورست وهو فى غاية الدهشة يسأل سكورزنى عن تلك الرصاصات الحمراء ؟ !! وكانت إجابة سكورزنى مفاجأة

لدورست . نعم لقد كانت هناك فى فريدنتال صناديق من تلك الرصاصات الحمراء وكانت تلك الرصاصات مسممة فعلا !!! .

فقد حدث ذات يوم أن ضبط الألمان بعض الفدائيين وهم يزحفون خفية إلى مقر القيادة فى سمولنسك ، ووجدوا معهم طلقات مسممة . وقد استطاع الخبراء الألمان أن يصنعوا طلقات مماثلة وأرسلوا منها صندوقين لإجراء التجارب عليهما فى فريدنتال .

وقد احتفظ سكورزنى بالصندوقين ثم إستخدم رصاصهما بطريقة جديدة .

فقد كان يزود كل متطوع - عند تحركه لإحدى المأموريات الخطيرة - برصاصة مسممة ويقول له « إذا وقعت فى يد العدو وخشيت أن تضعف أمامه وان تضطر إلى البوح بأى سر فاستخدم هذه الرصاصة فى الانتحار إن اردت . . . ضعها فى الخانة الأخيرة من مسدسك فإنها سوف تقوى ثقتك بنفسك حتى ولو لم تستخدمها » وكان سكورزنى يحتفظ لنفسه بواحدة من تلك الرصاصات لأنه لم يكن يرغب فى الوقوع حيا فى يد العدو اثناء الحرب .

ومن زنزانته راح سكورزنى يجهز دليلا على براءته من تلك التهمة الخطيرة .

فقد كان قد كسب صداقة بعض الحراس فأرسل معهم رسالة إلى رادل الذى كان معتقلا فى معسكر عادى لأسرى الحرب ، واستطاع رادل ان يهرب تلك الرسالة إلى بعض الأصدقاء فى الخارج . وجاء الرد لسكورزنى وهو يتناول افطاره فى الصباح التالى وكان عبارة عن رصاصة مدسوسة فى رغيف خبز .

وعندما انعقدت المحكمة طلب سكورزنى من دورست أن يستدعى شاهد الأمس لاستجوابه ثانية . . وجاء الرجل وجلس على مقعد الشهود وهو يرتعش ، وبدأ دورست البارع بسؤاله عما إذا كان قد سبق له ان شهد ضد زملائه فى محاكمات نورمبرج السابقة فأجاب بالإيجاب . فسأله عما إذا كان قد ثبت فى خلال تلك المحاكمات انه ادلى بأقوال كاذبة ؟ فأجاب بالإيجاب .

وعندئذ دفع دورست الرصاصة (التى كان سكورزنى قد حصل عليها فى الصباح) فى يده وسأل الشاهد « هل هذه الرصاصة من ذلك الرصاص المسموم الذى تحدثت عنه امس » فأجاب « نعم انها واحدة من تلك الرصاص تماما » .

وانحنى أعضاء المحكمة عندئذ إلى الأمام لينظروا إلى تلك الرصاصة التى هاربها دورست عليهم ، وكانت تحيط بها دائرة حمراء اللون .

وعندئذ أعلن دورست أنها مجرد رصاصة عادية من الرصاص المقاوم للبلل (Water Proof) . ثم راح يناقش الشاهد مناقشة فنية قرر الشاهد على أثرها أنه أخطأ وأن الرصاص المسموم ذو شكل آخر . وبذلك انهارت شهادته .

وظل سكورزنى يوما بعد يوم يعد المذكرات والملاحظات على كلام الشهود ويناولها فى المحكمة إلى الملازم البحرى الذى كان يقوم بدور المترجم لكى يترجمها هذا ثم يعيدها إليه فيسلمها إلى دورست .

وفى الزنزانة كان يعمل كل الوقت أيضاً . ولم يكن كل ذلك العمل لنفسه فقط فقد كان زملاؤه الضباط قد انتخبوه قائدا لهم وكان عليه أن يدرس قضاياهم واحدا فواحدا وأن يبحث عن كل الأدلة اللازمة لبراءتهم وبعدها ثم يسلمها إلى دورست وهكذا .

وفى النهاية وصل روزنفلد إلى الإتهام الأساسى الخاص بالعملية « جريف » وكان شاهدا الإثبات هما ملازم أمريكى قرر بأنه أسر عددا من الجنود الألمان وهم مرتدين سترات ميدان أمريكية ، وجندى من جنود سكورزنى فى العملية «جريف» قرر فى شهادة مكتوبة ، لأنه كان مريضا فى المستشفى) أنه أطلق فى خلال تلك العملية رصاصة على جاويش أمريكى وأنه أخطأه .

واحتج الدفاع على تلك الشهادة وقال أنها لاتثبت شيئا ضد سكورزنى لأن الجندى لم يقل أبدا أنه كانت لديه أوامر بإطلاق النار . وقد اضطر الإتهام إلى إلغاء ذلك الدليل عندما تلقت المحكمة رسالة من ذلك الشاهد يقول فيها أنه يسحب شهادته .

أما عن الإتهام بسرقة طرود الصليب الأحمر فقد كان مبنيا على شهادة ضابط أمريكى كان أسيرا وقد قرر هذا الأخير أن عدة طرود كانت مرسلة إليه قد احتجزت طوال فترة معركة الأردين . وقال ذلك الضابط أنه فقد بسبب ذلك ثلاثة أرطال من وزنه .

وكان روزنفلد قد فسر سبب احتجاز تلك الطرود بأنه كان بغرض سرقة

الملابس منها واستخدامها فى العمليه « جريف » . وقد احتج سكورزنى على ذلك التعسف فى التفسير وقرر أنه فقد ٥٠ رطلا من وزنه فى الأسر .

وقد ظل سكورزنى وزملائه ينتظرون يوما بعد يوم أن يصل روزنفلد إلى الإتهام الخاص بتعذيب وقتل الأسرى . ولـكن روزنفلد فاجأهم بسحب ذلك الإتهام ... وتنفس الجميع الصعداء .

وعندئذ طالب دورست بإطلاق سراح المتهمين كلهم على إعتبار أنه لولا ذلك الإتهام لما كان هناك أى داع لاعتقالهم . ولـكن المحـكمة رفضت الطلب .

وبقى مصير سكورزنى معلقا على إتهامه بالقتال فى ملابس أمريكية وتأجلت المحاكمة لمده ٤ أيام .

وحين عادت المحكمة للانعقاد كان الجمهور قد فقد اهتمامه بالقضية لأن اهتمامه كان يتركز فى أول الأمر حول تهمة تعذيب وقتل الأسرى ، وكذلك انصرف الصحفيون عن المحاكمة .. ولم يكن أحد من هؤلاء يدرى بأن الفصل المثير فى تلك المسرحية كان قد اقترب .

وعند بداية الجلسة طالب دورست من المحـكمة أن تسمع سكورزنى كشاهد ، قائلا أن هدفه من ذلك هو أن يزيل جو التحيز ضده كمتهم وأن يثبت أنه كان مقاتلا كريما يعمل باستمرار على تفادى سفك الدماء ... دماء رجاله ... ودماء أعدائه على السواء ، وأنه لم يكن قط قاتلا ولا سفاحا ولا همجيا كما كانت دعاية الحلفاء تصوره للناس .

وجلس سكورزنى على مقعـــد الشهود وأقسم اليمين وراح يجيب على أسئلة دورست .

وطلب منه دورست أن يقدم أمثلة على أسلوبه فى تجنب سفك الدماء فقدم إليه صورة طبق الأصل من الأمر الذى أصدره لرجاله قبل عملية إنقاذ موسولينى وكان نصه « مهما كان تصرف العدو وحتى لو أطلق علينا النار فإنه ممنوع بتاتا على اى فرد منكم ان يطلق النار إلا بإذن مباشر منى وبعـــد أن أطلق أنا الرصاصة الأولى » .

وعن العملية « جريف » قام سكورزنى إلى خريطة كبيرة وأمسك بمؤشر

وألقى محاضرة تفصيلية عن دوره فى تلك العملية .... ذلك الدور الذى اقتصر على رسم الخطة اللازمة للاستيلاء على كبارى نهر الميز بدون قتال ثم على تدريب رجاله ثم على قيادتهم فى العملية من وراء الخطوط الألمانية وأكد أنه لم يعبر تلك الخطوط قط .

وسار كل شيء بسهولة حتى سأله دورست عن حقيقة المؤامرة المزعومة لقتل أو خطف الجنرال أيزنهاور ولكن رئيس المحكمة رفض السؤال ورفض أن يسمح لسكورزنى بالإجابة عليه . وبذلك حرم سكورزنى من فرصة العمر لكى يدحض بصورة علنية تلك التهمة ويتخلص من الكابوس الذى كانت تسببه له .

ثم انتقل به دورست إلى قلب المشكلة ... هل كان ارتداء الجنود الألمان للثياب الأمريكية خطأ أم صوابا ؟ .

وأجاب سكورزنى على السؤال بأن أحد الأخصائيين فى القانون الدولى حضر إلى المعسكر وأكد أن قوانين الحرب لا تمنع ارتداء ملابس الأعداء طالما هى لا تستخدم أثناء القتال الفعلى ، وأنه بناء على ذلك قد أصدر أومرا قاطعة إلى رجاله بأن يرتدوا الزى الألمانى تحت الزى الأمريكى وأن يخلعوا الزى الأخير بمجرد احتلالهم للكبارى أو عند الاضطرار للاشتباك فى القتال .

وفاجأ دورست المحكمة عندئذ بقوله أن مافعله سكورزنى كان شبيها بما كان الحلفاء قدسبقوه إليه . فقد ارتدى الفدائيون الإنجليز ملابس الألمان فى أكثر عملية بل إنهم فعلوا مالم يفعله سكورزنى وهو القتال وهم مرتدون تلك الملابس . وسأل دورست المحكمة عما إذا كانت مخالفة قوانين الحرب حق للحلفاء وحرام على الألمان ؟ .

وتذكر سكورزنى عندئذ من الحوادث مايشبه ذلك . فقد ضبط الألمان ضباطا برطانيين فى هنغاريا وهم يرتدون الزى الألمانى ومع ذلك لم يعدموهم بل عاملوهم كأسرى حرب ، وفى ايطاليا ويوغوسلافيا كانت مخازن المهمات الألمانية تهاجم باستمرار بواسطة قوات المقاومة بغرض الإستيلاء على الملابس الألمانية واستخدامها فى عمليات حرب العصابات ، وكذلك ارتدى

الجنرال البولندى بوهر زى ضابط ألمانى عندما بدأ بثورة وارسو ضد الاحتلال الألمانى عام ١٩٤٤ ، وكذلك استخدم الروس نفس الأسلوب ، وكذلك استخدمه اليابانيون ، وكذلك فعل الأمريكان .

وذكر سكورزنى للمحكمة أن هتلر أخبره بأن الأمريكان قد تنكروا فى ثياب ألمانية فى آخن ، وأن هتلر حين أمر بالعملية « جريف » كان متأثراً بما فعله الأمريكان فى آخن . وأكد سكورزنى للمحكمة أن جميع تلك العمليات تمت مع استخدام السلاح وإطلاق النيران وهو مالم يفعله هو قط .
ونهض دورست ساعتها ليتحدى رئيس المجلس والأعضاء أن ينكروا علمهم بأن القوات الأمريكية قد استخدمت تلك الحيلة مرات عديدة . . . وسكت الرئيس والأعضاء .

وفى النهاية غادر سكورزنى مقعد الشهود ليحل محله شاهد نفى كان دورست قد طلبه . . . قائد الجناح فورست يو توماس .

وتقدم توماس إلى مقعد الشهود . . . رجل قصير القامة ظاهر الصلابة يرتدى ضابط طيران .

وراح سكورزنى يتأمله وهو يعجب ماذا يمكن لضابط طيران بريطانى أن يقوله لمصلحته .

وكان يو توماس قد اشتهر فى أيام الحرب عند رجال المقاومة الفرنسية بإسم « الأرنب الأبيض » وكانت مهمته هى تزويدهم بالأسلحة وبالمهمات وقد خاض معهم عدة مغامرات مثيره ثم وقع فى أيدى الألمان وحكم عليه بالإعدام ولكنه استطاع الفرار من معتقله فى بوخنوالد ثم عبر المانيا وعاد سالما إلى خطوط الحلفاء فى فترة الغزو . وكانت شهادته فى محكمة نورمبرج ضد ضباط ذلك المعسكر سبباً فى إدانة ٢٤ منهم بتعذيب وقتل الأسرى .

ولذلك فإن أحداً لم يكن يتوقع من يو توماس أن يدلى فى قضية سكورزنى بما يبرئه .

وبدأ يو توماس شهادته بأنه لم يسبق له قط أن التقى بسكورزنى ولكنه

جاء لكى يقول أنه لا يرى جريمة فى تصرفات سكورزنى وأنه طالما سمع أن سكورزنى ورجاله كانوا يتصرفون تصرفات الجنتلمان .

وسأله سكورزنى هل لديه علم بأن قوات الحلفاء قد سبق لها أن أستخدمت الزى الألمانى على سبيل التنكر فأجاب يو توماس فى حزم « نعم أنها فعلت ذلك كثيراً »، وأضاف أنها إستخدمت أيضاً عربات وأسلحة وذخيرة وقنابل المانية ثم قدم دليلا مباشراً على ذلك ، فراح يروى كيف أنه تنكر هو وبعض رجال المقاومة الفرنسيين فى ثياب المانية وركبوا عربة المانية ثم تقدموا بصفتهم من الجنود الألمان إلى سجن رينز وقدموا إلى حراس السجن خطاباً مزوراً باستلام زميل لهم من قوات المقاومة كان مقبوضاً عليه . وقد وقع يو توماس أسيراً ليلتها فى يد الألمان عندما انكشفت الخدعة .

وسأله دورست عن الغرض من حمل السلاح معهم فى تلك الليلة وهل كان مجرد هو أم كان هو القتال فأجاب توماس « الاثنين معا » وسأله دورست عن الأوامر التى كانت صادرة إليه . . . هل كانت تسمح له بالقتال وهو متنكر فى ثياب جندى ألمانى وهل كانت تعطيه حرية مطلقة فى التصرف فأجاب بالإيجاب .

وتنفس سكورزنى ساعتها الصعداء . . . لقد انهارت التهمة .

وتحول دورست الى تهمة سرقة طرود الصليب الأحمر . . . وسأل توماس كيف كان هو ورجال المقاومة يحصلون على الثياب وأوراق تحقيق الشخصية الألمانية فأجاب توماس بأنهم كانوا فى العادة يترصدون للجنود والضباط الألمان ويقتلونهم سعيا وراء أوراق تحقيق الشخصية ، وفى أحيان أخرى كانوا يهاجمون مخازن المهمات الألمانية للحصول على الثياب .

واكتملت الصورة بذلك .. وثبت أن التنكر فى ثياب العدو لم يكن قاصرا على الألمان وحدهم .

وكان ظهور يو توماس فى قاعة المحكمة فى معسكر داخاو يومها عبارة عن إتهام مجسد للقانون الدولى ذاته . « أقتل عدوك قبل أن يقتلك » ! ! هذا هو شعار الحرب فى كل مكان، واستخدم فى سبيل ذلك كل وسيلة سواء منها ما اتفق

مع القانون أو ما أختلف معه ولكن عليك أن تتأكد أولا من أنك تقاتل مع الجانب المنتصر لأنك عندئذ سوف تحصل على نيشان عظيم ولن يطلب أحد منك حسابا عما فعلت. أما إذا قاتلت مع الجانب المغلوب فسوف يكون — إن نجوت من القتل فى الميدان — حبل المشنقة فى إنتظارك . وعلى ذلك الوتر راح دورست يضرب مؤكداً للمحكمة أن عليها أن تختار بين تبرئة سكورزنى مادام الحلفاء قد فعلوا مثل ما فعل بل وأكثر منه ، وأما أن تدينه على أساس أن هناك قانونين أحدهما للمنتصر والآخر للمغلوب .

وغادر يوتوماس قاعة المحكمة قبل أن تتاح لسكورزنى الفرصة ليصافحه ولكنه سارع وأرسل إليه رسالة شكر وجاءه الرد « أنك قمت بأعمال حربية جيدة وأنا على ثقة من أنهم سوف يبرءونك ، على أى حال فإن شقتى فى باريس تحت أمرك إذا شئت أن تجد مكانا تأوى إليه » .

ولم يعد هناك بعد ذلك أى شك فى قرار المحكمة .

وجاء القرار بالبراءة .

وراح الكولونيل روزنفلد يصافح سكورزنى وزملائه مهنئا أياهم بالبراءة ومعتذرا عن موقفه منهم بأنه كان يؤدى به واجبه .

ومع ذلك فقد صرح لمراسلى الصحف بأنه لا يزال يعتقد بأن سكورزنى هو أخطر رجل فى أوروبا ! ! ! .

وعاد سكورزنى هو وزملاؤه (الذين حملوه على الأعناق) ظافرين إلى المعتقل وراحوا يجمعون حاجياتهم إستعداداً للانطلاق إلى الحرية .

ولكن أحدا لم يطلق سراح سكورزنى بل إنه اقتيد إلى زنزانة وأغلق الباب عليه .

وكان زملاوءه قد قرروا اقامة حفل تكريم له بمناسبة براءته وبمناسبة ذكرى انقاذ موسولينى فى مثل ذلك اليوم (١٢ سبتمبر) . وأقيمت الحفلة وانتظر زملاؤه أن يحضر ولكنه كان سجيناً فى الزنزانة ! ! .

ما الذى حدث ؟؟ !!

لقد كانت الدانمرك وتشيكوسلوفاكيا تطالبان بسكورزنى . . . وذلك لكى تحاكماه على جرائم فظيعة قيل أنها منسوبة إليه .

وبعد أسبوعين ظهر أن هناك خطأ ما فى الأمر وأنه أياً من الدولتين لم تطالب بسكورزنى وأنه لا توجد جرائم منسوبة إليه .

ولكن الصحف لم تفلت الفرصة فى خلال هذين الأسبوعين فراحت تنشر العناوين العريضة عن « القاتل السفاح سكورزنى » !!

وعليه فقد نقل سكورزنى من الزنزانة إلى معسكر إعتقال عادى وانهالت عليه الهدايا والثياب النظيفة هناك . وطلب منه قسم التسجيل التاريخى فى القيادة الأمريكية أن يتعاون معه هوورادل فى تسجيل عملية إختطاف موسولينى ، ووافق الأثنان .

وسافر الأثنان — تحت الحراسة — إلى معسكر الاستجواب فى أوبرسال . ولدهشة سكورزنى وجد نفسه — بغير أدنى مبرر معقول — يقاد هناك إلى الزنزانة .

وانضمت إلى المعسكر بعد ذلك « سالى المحورية » وهى سيدة أمريكية بيضاء الشعر كانت تعمل فى الإذاعة الألمانية أثناء الحرب (وقد عوقبت فيما بعد بالسجن لمدة ١٠ سنوات) . وأنتهز سكورزنى فرصة وجودها وطلب منها أن تعلمه اللغة الإنجليزية .

وجاء عيد الميلاد ولا خبر هناك عن اطلاق سراحه . ولكن قيادة المعسكر منحته أجازه لمدة ١٤ يوم بكلمة الشرف على أن يعود للمعسكر بعدها . وسافر سكورزنى فورا إلى ميونيخ (ولم ينس وهو فى الطريق أن يزور هانا ريتش التى كانت تعيش آنذاك فى مدينة أوبرسال) . ووجد سكورزنى ميونخ تعيش فى بؤس وجوع شديدين . وهناك زار أسرته وقضى الأجازة مع زوجته وابنته ثم عاد إلى أوبرسال ليفاجأ بالعلم بأنه كان متبوعا طول الوقت . فقد كان الأمريكان ما يزالون يظنون بأن هتلر لم يمت وأن سكورزنى يعرف مكانه .

ومر يناير ومن بعده فبراير وتم عمله هو ورادل مع قسم التسجيل . وإذا به يدعى بعدها إلى المثول أمام المحققين . . . فقد ظهر جاويش أمريكى ليقسم بأنه شاهد هتلر قبل سقوط برلين بأيام وهو ينزل مع سكورزنى من الطائرة فى مكان ما فى غرب ألمانيا .

واستمر الاستجواب والتحقيق عدة أيام إلى أن تقدم أحد أطباء الجيش الأمريكى وأثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الجاويش مختل العقل .

واستدعى بعد ذلك إلى نورمبرج فى تحقيق أخير عن مصير هتلر ثم قرر الحلفاء أنه لم تعد لهم به حاجة فأودعوه فى أحد السجون الألمانية !!

وضاق هوورادل ذرعا بالفراغ الذى راحا يعيشان فيه فى السجن فتطوعا فى عمليه ازالة الأنقاض فى درامستادت .

وفى كل يوم كان قائد قوات ألمانيا الخاصة يشاهد وهو يسير فى شوارع درامستادت حاملا معولا وكوريكا ، أو متعلقا بسلم الترام ! ! وكان البعض يتعرف على شخصيته ويجامله بسيجارة أو بفنجان من القهوة !!!

ومرت عليه ٥ شهور أخرى فى ذلك الحال فكتب إلى يوتوماس « الأرنب الأبيض » يسأله النصيحة فرد الأخير عليه بكلمة واحدة « إهرب » .

وكانت قد مضت عليه حتى ذلك الوقت سنة كاملة منذ برأته المحكمة وقد كان يستطيع أن يهرب منذ البداية بكل سهولة ولكنه كان قد صمم على أن يبقى ليطهر إسمه مما علق به من الاتهامات . والآن وقد أتم تلك المهمة فقد رأى أن من حقه أن يهرب ما دام المختصون لم يفكروا فى إطلاق سراحه .

ودار على ضباط السجن لينبئهم بأنه قرر الهرب !!

وفى يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٤٨ هرب من سجنه بكل بساطة وبغير أن يحتاج إلى القفز فوق الجدران أو إلى استخدام الرشوة . فقد شاهد سيارة نقل وهى واقفة فى فناء السجن فإتجه إلى السائق وعرفه بنفسه وطلب منه أن يخفيه فى السيارة . ولم يتردد السائق فى القبول ، وقام ساعتها أربعة مساجين بتمثيل معركة حول باب السيارة الخلفى ، حتى استطاع سكورزنى أن يتسلل إلى السيارة بينما راح رادل يقفل

الباب عليه وهو يقهقه ضاحكا من منظره وهو مكوّم بين الحقائب والطرود .

وخرجت السيارة من السجن وأوصلته إلى محطة قريبة فى الضواحى حيث وجد بعض الأصدقاء ومعهم ملابس مدنية له فارتداها ثم ركب القطار إلى ستوتجارت وفى اليوم التالى سافر إلى برختسجادن.

ولم تهتم السلطات الألمانية بهربه بل أنه كان من الواضح أنها رضيت به ولكن المختصين الذين ألتقوا به فى برختسجادن نصحوه بالإختفاء حتى تهدأ الضجة التى أثارها الحلفاء عندما علموا بهروبه .

ولكنه رفض حياة الأختفاء وراح يسير فى الشوارع فى وضح النهار مكتفيا بتغيير لون شعره فقط . وكانت زوجته وابنته تزورانه هناك وتقضيان معه أياما ثم تعودان إلى ميونخ لتضليل مطارديه .

وقضى سكورزنى وقتاً طيباً فى برختسجادن بين السباحة وحمامات الشمس وتساق الأشجار .

وفى ربيع سنة ١٩٤٩ كان الحلفاء قد نسوا أمره . فراح يتجول مع زوجته وابنته فى انحاء ألمانيا باحثا عن زملائه فى السلاح وقلما كان يعثر على أحد منهم وإنما كان فى العادة يقابل أرملة واحد منهم أو أبناءه الأيتام .

وفى أكتوبر سنة ١٩٤٩ سافر مع أسرته فى رحلة سياحية إلى فرنسا. وهناك تعرف عليه أحد الصحفيين .

ونشرت صحيفة « لومانيتيه » فى اليوم التالى خبرا على صفحتها الأولى يقول « سكورزنى فى باريس » وهاجت باريس لذلك الخبر وأسرع الصحفيون يفتشون عنه فى كل أحياء باريس . ولكنه كان قد إختفى.

وفى مزرعة قرب مدينة ليون الفرنسية قضى هو وأسرته شهور الشتاء ، وهناك كان يقرأ فى الصحف أنباءاً عجيبة عن أوتو سكورزنى ، الذى يقوم بتنظيم حركة نازية جديدة !! ووجد فى تلك الأخبار تسلية كبرى .

وفى الربيع التالى راح يبحث عن عمل فى ألمانيا الغربية . ولكن الحكومة هناك كانت تتملق الغرب بكل قوتها ولذلك فقد اعتذرت عن منحه تصريحا بالعمل ونصحته بالعودة إلى وطنه الأصلى النمسا . وعاد سكورزنى إلى النمسا ليتلقى رفضاً مماثلا من الحكومة التى كانت تود بدورها أن تسترضى الحلفاء .

ورضيت إسبانيا أن تستقبله كلاجىء بدون جنسية .

وبرأس مال (اقترضه من هنا ومن هناك) افتتح سكورزنى مكتبا هندسيا فى شارع جران فيا بمدريد ونجح فى عمله الجديد .

وكان سر نجاحه كامنا فى صلاته العديدة برجال الأعمال الألمان الذين كان قد التقى بهم فى محكمة نورمبرج . ولم يتردد هؤلاء فى مساعدته بكل إمكانياتهم وبذلك استطاع فى عام ١٩٥٢ أن يعقد صفقة تجارية ضخمة بين ألمانيا وأسبانيا بأكثر من خمسة ملايين من الدولارات .

وبينما كان فى غمرة العمل تلقى نشرة خاصة من بون (عاصمة ألمانيا الغربية) وكانت النشرة تعلن أنه ثبت بالدليل القاطع أن سكورزنى برىء من تهمة النازية وأن محكمة هيسين قد أصدرت قرارا بذلك . وبذلك استطاع أن يستعيد جنسيته الألمانية وأن يحصل على جواز سفر ألمانى فراح يوسع أعماله فى كل مكان داخل إسبانيا وخارجها .

وهو يقيم الآن فى إسبانيا ويدير أعماله الواسعة من هناك موجها اهتمامه الأكبر نحو صناعة مراوح هوائية تدير كل أنواع الماكينات .

وعندما أشار أحد أصدقائه إلى أنه — وهو يحاول صنع المراوح الهوائية — إنما يشبه دون كيشوت أجابه فى ثقة « أن دون كيشوت كان يحاول أن يهدم الطواحين أما أنا فأبنيها » .

وبهذه العبارة يكون سكورزنى قد أفصح عن فلسفته الأصيلة التى دفعته إلى أن يتجنب (فى كل مغامراته) سفك الدماء . الأمر الذى جعل منه مغامرا من طراز فريد . . . طراز يقاتل بالعقـــل وبالدهاء أكثر مما يقاتل بالسيف والمدفع » ؟

* * *

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول : الرجل الذى ظل ينتصر وحده	٣
الفصل الثانى . المغامرة الأولى	٦
الفصل الثالث : قائد الكوماندو	١٤
الفصل الرابع : عليك أن تنقذ موسولينى	٢٠
الفصل الخامس : إنقاذ موسولينى	٣٤
الفصل السادس : أخطف بيتان . . ، أخطف تيتو . .	٤٢
الفصل السابع : مأساة فالكيرى	٥٣
الفصل الثامن : إخطف هورتى	٦٤
الفصل التاسع : نفثات . . تواريخ . . طوربيدات . .	٨٣
الفصل العاشر : العملية جريف	٨٩
الفصل الحادى عشر : مغامرات جيرج . وأدوية لبودابست	١٠٦
الفصل الثانى عشر : الدفاع عن شويدت	١١٣
الفصل الثالث عشر : سكورزنى أسيراً	١٢٠
الفصل الرابع عشر : محاكمة : براءة . هروب . استقرار .	١٢٨

كتب المعرب

مؤلفات:

- أضواء على الحرب النفسية . (الهيئة العامة للكتاب ـ المكتبة الثقافية).
- قضية عمان : (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- الإرهاب الصهيونى . (الدار القومية للطباعة والنشر ـ كتب قومية) .
- ليالى الخير . (الدار القومية للطباعة والنشر) .
- دعاء . (الشركة المصرية للطباعة والنشر) .
- دعاء الأولياء . (تحت الطبع) .
- حرب الغواصات (تحت الطبع) .
- أضواء على الهرم الأكبر (تحت الطبع) .
- من ذكريات العفاريت (تحت الطبع) .
- الدكتور إبليس . مسرحية (تحت الطبع) .

كتب معربه :

- صراع فى البحر . (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- الفدائى العجيب . (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- الموت فى الملاعب الرومانية (تحت الطبع) .

كتب المعرب

مؤلفات:

- أضواء على الحرب النفسية . (الهيئة العامة للكتاب ـ المكتبة الثقافية) .
- قضية عمان : (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- الإرهاب الصهيونى . (الدار القومية للطباعة والنشر ـ كتب قومية) .
- ليالى الخير . (الدار القومية للطباعة والنشر) .
- دعاء . (الشركة المصرية للطباعة والنشر) .
- دعاء الأولياء . (تحت الطبع) .
- حرب الغواصات (تحت الطبع) .
- أضواء على الهرم الأكبر (تحت الطبع) .
- من ذكريات العفاريت (تحت الطبع) .
- الدكتور إبليس . مسرحية (تحت الطبع) .

كتب معربة :

- صراع فى البحر . (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- الفدائى العجيب . (مكتبة الأنجلو المصرية) .
- الموت فى الملاعب الرومانية (تحت الطبع) .